تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الاسلامية
http://islamicfiles.net

مفتاح

islamicFiles.NeT

الجنة

بقلم

أ.د / مبروك عطية

الأستاذ فى جامعة الأزهر
والداعية الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

وبعد

فإن الجنة مطلب كل مسلم ، ومبتغى كل عاقل ، فهى النعيم المقيم ، والظل الدائم ، قال الله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾

وللجنة مفتاح ، ومفتاحها : لا إله إلا الله كما جاء فى الحديث الشريف ، فقد قال ﷺ للعلاء إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل : مفتاحها لا إله إلا الله

قال ابن عباس- رضى الله عنهما - أنا أخبركم عن أسنان هذا المفتاح ، التي لابد منها كي يفتح ، أسنانه الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

لهذا رأيت أن أتنفس مع القارئ شيئا فى ظلال تلك الأسنان :

وأود أنْ أقدم بين يديه أنّ الفكرة تدور بين القول والعمل ، أي أنْ تقول لا إله إلا الله وأنْ تعمل بمقتضاها؛فليس كل من قال : لا إله إلا الله قد ملك المفتاح

والله أسال أن يوفقنا إلى الوصول إليه صالحا سليما ندخل به فى مستقر رحمته ؛ حتى نفوز ؛ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

وقد دعانا ربنا - عز وجل- إلى التوبة ، فقال – سبحانه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالذينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والنداء بصفة الإيمان يقتضي أنّ التوبة من خلل ومن سوء عمل ،ولو كان مفتاح الجنة فى قول لا إله إلا الله فقط لما كان هناك داع إلى التوبة

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير

أ.د / مبروك عطية

الفصل الأول

الجنة

الجنـــــة

الجنة دار النعيم أعد الله فيها من صنوفه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : ليس فى الدنيا من نعيم الجنة إلا الأسماء ، أي أنّ ماء الدنيا ليس كماء الآخرة، وليس لبن الدنيا كلبن الآخرة،ألا ترى إلى قول الله –تعالى -: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

وقد جرت عادة القرآن الكريم فى الأعم الأغلب من آياته أنْ يقارن بين الجنة والنار وذلك لأن الضد يظهر حسنه الضد،ألا ترى إلى الآية السابقة من سورة محمد، حيث قال الله–تعالى –بعد أنْ ذكر بعض نعيم الجنة :كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم

ولا شك أنّ هناك فرقا بين من يشرب من ماء غير آسن ،ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين ، ومن عسل مصفى ومن يشرب من ماء يغلى يقطع أمعاءه ، وأُكل الجنة دائم غير منقطع وظلها ظليل قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ الواقعة: ٢٧ - ٣٨

بينما ظل أهل النار من دخان لا بارد ولا كريم ، وفى آي المرسلات يقول الله – تعالى – فيه : ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾ المرسلات: ٣٠ - ٣١

وفى آي الغاشية يقول ربنا–تعالى-:﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ الغاشية: ١ - ١٦

وأهل الجنة وجوههم ناضرة أي جميلة إلى ربها ناظرة ،وأهل النار وجوههم كالحة قال الله–تعالى -: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٤

والملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب ،قال الله–تعالى-: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤

وأهل النار يرون ملائكة غلاظا شداداً لا يعصون الله ما أمرهم قال الله – تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦

، وإذا سأل أصحاب النار الملائكة أنْ يدعوا ربهم كي يخفف عنهم يوما من

العذاب أجابوهم كما قال الله -تعالى فى آية غافر : قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ غافر: ٥٠

وأهل الجنة فى سلام ووئام ،نزع الله ما فى صدورهم من غل فهم إخوان على سرر متقابلين ، قال الله -تعالى-: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحجر: ٤٧

أمّا أهل النار فهم فى شقاق يضاعف من عذابهم؛فكلما دخلت أمة لعنت أختها،وهم فى نزاع، ترمى كل طائفة أختها بأنها سبب دخولها النار،

وأهل الجنة كما قال الله-عز وجل -:لهم ما يشاءون فيها ، قال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣٥ .

بينما أهل النار يتمنون فقط جرعة ماء أو ثمرة فاكهة ،ولكن دون ذلك أهوال ،قال الله-عز من قائل-: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ٥٠

وأهل الجنة مع أزواجهم وأصدقائهم الصالحين ،قال – تعالى – : هم وأزواجهم فى ظلال ،وقال –سبحانه- : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف ٦٧] وشتان مابين الأخلاء المتصافين فى دار النعيم ،

والأخلاء الأعداء فى دار الجحيم ،فالتصافى يزيد النعيم نعيما ،والجفاوة تذهب لذة النعيم ،وتضاعف من الإحساس بالعذاب

وصدق الله-تعالى إذ يقول: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩

وأهل الجنة فى حمد على ذهاب الحزن الذى عاشوه فى الدنيا ،فقد ولت بنصبها وكلفها وأمراضها وعللها، واليوم هم فى جنة ربهم ،حيث لا يمسهم فيها نصب ،قال الله –تعالى- : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فاطر: ٣٤

أما أهل النار فهم فى حزن دائم وغم مستمر ألا ترى إلى قول الله-تعالى-: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾

وأهل الجنة فى وسع بلا حدود ؛ فقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣

أما أهل النار ففى ضيق شديد ؛ألا ترى إلى قول الله –تعالى-: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الفرقان: ١٣

أي قالوا يا هلاكنا؛فالثبور معناه الهلاك،قال الله – تعالى- : ﴿ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾ الفرقان: ١٤

، وهذا من باب التهكم الذى هم له أهل؛فلن ينفعهم أنْ يدعوا ثبوراً واحداً ، أو أنْ يدعوا ثبوراً كثيراً،كما لا ينفعهم أنهم فى العذاب مشتركون

وفى الجنة من صور النعيم أنّ أهلها يؤتون الثمر متشابها فى الشكل مختلفا فى الطعم ؛فيقولون لقد رزقنا هذا من قبل ،فإذا ذاقوه عرفوا أنه جديد ذو طعم مختلف ،و إنما أوتوه متشابها من باب التنويع من أجل المسرة ألا ترى إلى قول الله- تعالى- : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥

وليس لمن خاف مقام ربه جنة واحدة ، وإنما له جنات فيها من النعيم ما فصلته سورة الرحمن، ألا ترى إلى قول الله-تعالى -: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ الرحمن: ٤٦ - ٧٦

وأهل الجنة فى جنات وعيون ،وفواكه مما يشتهون ،وينادون :كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون

وأهل النار فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ،لا بارد ولا كريم

وأهل الجنة يساقون إليها زمرا ،حتى إذا جاءوها وجدوها قد فتحت أبوابها ،وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

أما أهل النار فيساقون إليها زمراً كذلك، لكنهم لا يجدون أبوابها مفتحة ،كما وجد أهل الجنة أبوابها مفتحة، فهم يقفون على بابها أذلاء،

قال العلماء: وإنما يجد أصحاب الجنة أبوابها مفتحة من باب التكريم كما يجد الملك والشخص العزيز باب من يضيفه مفتحا قبل قدومه إليه ،بحيث لا يقف على الباب ولو للحظة حتى يفتح له إنسان،بخلاف غيره من الناس الذين لا يؤبه بهم ،فهو يأتي ، ويقف بالباب ،ويدقه ويستأذن ، وليس فى ذلك من إهانة له وكيف يكون فيه من إهانة له وهو معرض لأن يقال له ارجع،

وعليه أنْ يرجع ؛ففى ذلك خير له ،قال الله-تعالى -: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ النور: ٢٨

إنما وجد الأول الباب مفتحا مبالغة فى التكريم

وقد دعانا ربنا -تعالى -إلى الجنة ورغبنا فيها،فقال -عز وجل-:﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦

وذكرت آيات الكتاب الكريم بعض صور النعيم فى الجنة، وقارنتها بما فى النار من لظى ،كما سبقت الإشارة إلى ذلك،

وكما دعانا ربنا- تعالى – إلى الجنة حذرنا كذلك من النار،والتحذير من النار دعوة ضمنية إلى الجنة ،بلا شك قال الله عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦،وقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ آل عمران: ١٣١

والجنة دليل الفوز الحقيقي ، ألا ترى إلى قول الله -عز وجل-: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥ ،

والعاقل أحرص الناس على الفوز كما أنه أحرصهم على أنْ يكون أسبقهم فى كل مجال من مجالات الحياة وطريق الجنة طريق الفائزين الذين عبدوا الله وحده لا شريك له ؛فهذا من الفوز بمكان ،قال الله تعالى- : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩

وقد دلت الآيات على وحدته عز وجل ،بما يشهد به العقل ؛ وقد قال ربنا – سبحانه وتعالى -:﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ٢٦٩ ، ومن كان العقل دليله فى معتقده، وفى أمور حياته كان راشداً ، ومن كان راشداً كان فائزاً،ومن ثم كان التوحيد دليل عقل ،وقد أشاد النبي ﷺ بعقل بعض الكفار كعتبة بن ربيعة وأنّ قريشا لو وافقته لاهتدوا،وقد قتل عتبة يوم بدر كافراً ،وكان له ابن من أنبل الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-هو أبو حذيفة وقد بكاه ؛فسأله رسول الله ﷺ عن سبب بكائه عليه ؛فقال :والله يا رسول الله ما بكيت على قتله،وإنما بكيت على عقله ؛فقد كان لأبى عقل كبير كنت أود أنْ يهديه إلى الإسلام ،فلما مات على كفره بكيت عليه؛فقال له ﷺ خيراً

ويبدو من هذا الموقف ،ومن غيره من المواقف أنّ هنالك أشياء تستر العقل ،وتذهب ببهائه ،فلا يستضيء بضيائه صاحبه ،ومن أهم تلك الأشياء التعصب ،تعصب عتبة والوليد ؛فستر التعصب عقليهما ؛فماتا على كفرهما،

ومنها الحقد والحسد ألا ترى أنّ أبا جهل قال للأخنس بن شريق يوم بدر وقد سأله الأخنس : أتظن أنّ محمدا كذاب ؛ فقال :كيف وما جربنا عليه كذبا قط ؛فقال الأخنس:فلم جئنا نقاتله!

فقال أبو جهل :إذا كان فى بني هاشم الرفدة والسقاية ، وكانت فيهم النبوة فماذا بقى لنا !

فأبو جهل كغيره من كثير من الناس يعلمون الحق أين يكون ،ولكنهم يخالفونه ؛ لحقد فى نفوسهم ،ومرض فى قلوبهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣

والهوى كذلك يستر العقل ،ويذهب ببهائه وجماله وضيائه،يقول الله –عز وجل : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦

والهوى تيار جارف من اغترفه ذهب به فى هاوية بعيدة وضلال بعيد والطريق إلى الجنة ميسر ، ولكن دون هذا التيسير أهوال من النفس ومن الشيطان ومن ضعف الإنسان ؛فاحفظ هذه الثلاثة ؛فإنها سبيل الغواية ،والوقوع فى الذنوب والمعاصي التى تدنى الإنسان من النار وتبعده عن الجنة

ومن دعاء المسلمين :اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ،وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل

نعم ميسر؛ بدليل قول الله-تعالى-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ ، وقول النبي ﷺ : " إنّ هذا الدين يسر ،ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه ؛فسددوا وقاربوا " ،وقوله ﷺ : " يسروا ولا تعسروا ،وبشروا ولا تنفروا؛فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ،وبعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين "

ومن المواقف التي غضب فيها رسول الله ﷺ غضبا شديداً – كما روى البخاري- أنّ رجلا كان يطيل الصلاة بالناس؛فتأخر عنها رجل بسببه ،وقال :إن منكم لمنفرين

وقد عد النبي ﷺ الإطالة فى الصلاة تنفيرا، ولنا أن نقيس على ذلك صوراً أخرى أشد من صور الحياة والمعاملات يحدث بسببها التنفير ومنها الغش والتدليس والخداع والكذب والخيانة ،تلك الشنائع التى جعلت الناس فى الشرق والغرب لا يحبون التعامل مع المسلمين،قال لى رجل كريم من رجالات العرب : إنّ لديه عاملا من البوذيين ، فانظر إلى أمانته ، وإلى صدقه

،وإلى إخلاصه، وقد عمل عندي قبله عدد من المسلمين ضيعوني ،وسرقوني ،وكم كذبوا وكم خانوا،مع العلم أن راتب الواحد منهم كان ضعف راتب هذا البوذي!

ولم أدر ما أقول لهذا الرجل الذى نفره بعض المسلمين من المسلمين ؛ فآثر غيرهم عليهم ،كما آثر الرجل أن يتخلف عن أول وقت صلاة الغداة؛بسبب إطالة الإمام،مع حاجة كل مسلم لثواب أول الوقت ،وحاجة المسلم إلى عامل ينجز له أعماله

وقد روى البخاري وغيره أنّ النبي ﷺ كان يدخل الصلاة وهو ينوى أنْ يطيل ،فيسمع صوت الصبي أو الصبية يبكى ؛ فيتجوز ﷺ رحمة به وبأمه

وقد قال عليه الصلاة والسلام: صلوا كما رأيتموني أصلى ،فهلا اقتدى به الأئمة ،فخفف بعضهم إذا سمع صوت بكاء صبى أو صبية ! أم أنها شهوة الجهر بالصوت فى مكبرات الأصوات ،وليبك من يبكى ،وليزدد المريض مرضا ،ولتتعطل مصالح الناس ،وقد قال ﷺ : من أمّ بالناس فليخفف ؛فإن منهم المريض والمسافر وذا الحاجة ،وتلك فى الحديث الصحيح الذى رواه البخاري ،حيث أطال معاذ-رضى الله عنه-بالناس ؛فتركه رجل وصلى وحده ،وبلغه ذلك ؛فقال إنه منافق؛فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ ليعلم حقيقة أمره ،أمنافق هو أم غير منافق؟

فاستدعى رسول الله ﷺ معاذاً ،وقال له :أفتان أنت يا معاذ! من أمّ بالناس فليخفف،وسمى له ﷺ سوراً بعينها منها الضحى

وقد جاء فى الصحيح كذلك أنّ النبي ﷺ قال لأبى بن كعب –رضى الله عنه إنّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك القرآن؛ فقال أبى:أو سماني ربك؟

قال عليه الصلاة والسلام : نعم؛ فبكى –رضى الله عنه من الفرح

وقرأ عليه ﷺ سورة البينة،قال العلماء :إنما قرأ ﷺ سورة البينة ؛ لأن الوقت لم يكن يسمح بقراءة غيرها ،ولاشتمالها على عزم الأمور،أي من التوحيد ،والأعمال العظيمة التى تبنى عليها الشخصية المسلمة ،قال الله عز وجل-:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ البينة: ١ - ٨

فهل للوقت اليوم عند كثير من المسلمين من قيمة !

وإنْ كانت الإجابة بنعم فأين ثمرة هذه القيمة فى حياتنا ، وأين نحن بين الأمم؟

ومع الأسى والأسف نحفظ أنه لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، والمشكلة ليست فى الحفظ ؛ فما أكثر الحفظة ، ولكن ما أقل الفقهاء ، وقد روى البخاري فى صحيحه عن معاوية –رضى الله عنه– قول النبي ﷺ :من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين

وليس المعنى الفقه فى الدين أنْ نكون فقهاء مثل أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد

وإنما المعنى أنْ يتجنب المسلم ما نهى الله عنه وأنْ يفعل ما أمره به ،وأنْ يحتسب عمله خالصا لوجه الله – عز وجل –

ومن الفقه بالدين أنْ يعمل المسلم بما يعلم ؛ فتلك أُم القضايا ، وقد كان الصحابة –رضى الله عنهم– يعملون بما يعلمون

وفى الفقه الإسلامي عذر للجاهل ،وفى محكم التنزيل يقول الله – تعالى – :

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ١٣٥

ولو عمل كل إنسان بما علم لتغير وجه الحياة ،وانظر إلى أقل مثال ، وأوضحه ، وهو أنْ ترى القاذورات فى كل مكان مع علم الناس بأنّ النظافة من الإيمان ، وعلمهم أنّ القاذورات تسبب العلل والأمراض

وتجلب الذباب والحشرات الحاملات للميكروبات وغيرها من صنوف الأذى

وهكذا كل ما جاء به الدين من عزم الأمور ،مما ينصلح به أمر الدنيا والآخرة يعلمه الناس ، ولكنهم يخالفونه ويفعلون نقيضه،والمفارقة بين العلم والعمل لها شواهد فى الواقع سرت بها الركبان ؛فضربت فيها الأمثال ،واشتهرت بين الناس ،فقيل باب النجار مخلّع ،وقيل إنّ الأستاذ لا يعلم ولده ،هجر باب الأولويات هجرا غير جميل ، فقد سئل النبي ﷺ عن أي الجيران يأخذ من ذبيحة قطعة لم يبق سواها؛فقال عليه الصلاة والسلام- أقربهم إليك بابا ، وهكذا الحال بالنسبة إلى النجار والجزار والمعلم ؛فباب النجار أولى الأبواب بأن يكون جميلا صحيحا مشرقا ،والجزار يأكل أطيب لحم ويبيع أحبابه أطيبها لا أسوأها ،ولا يعنى ذلك أنه يغش من لا يعرف ، أو من لا يحب ، وابن المعلم أولى الناس بأن يكون على علم ؛فقد أمر الله – تعالى – رسوله ﷺ أنْ يأمر أهله بالصلاة وأنْ يصطبر عليها قال –سبحانه-: { وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها } ، والأمر له ﷺ ولكل مؤمن به أي قبل أن تأمر الناس بالصلاة يجب أن تأمر أهلك أولاً ، وقبل هؤلاء وهؤلاء أأمر نفسك أولا فلا تأمر غيرك بخير وأنت لا تفعله ،ولا تنه غيرك عن خلق سيء وأنت تفعله ، ولله در القائل من قديم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

لكننا نرى الناس جميعا قد صاروا وعاظا ،وأطباء ونجارين ، وجزارين ومهندسين ،ولا واحد من هؤلاء إلا من رحم الله يبدأ بنفسه ،ونرى الرجل ينصح للرجل بأن يصل أرحامه ،ويقول له فيما يقول إنّ الله قد جعل للرحم اسما من أسمائه ؛فهو الله الرحيم ،وقال لها يوم خلقه :وعزتي وجلالى من وصلك لأصلنه ،ومن قطعك لأقطعنه ،وصلة الرحم يبارك الله بسببها فى العمر وفى الرزق ؛فقد قال عليه الصلاة والسلام : (من سره أنْ ينسأ له فى رزقه وفى عمره فليصل رحمه) ، إن لم يقل له رواه مسلم فى صحيحه وقد صدق فقد رواه،بينما هو قاطع أخاه وأرحامه جميعا ،،

وإنْ خاطبه أحد فى ذلك أرغى وأزبد وهاج وماج ،وقال له :إن الأمر مختلف ؛فأنت لا تدرى ماذا فعلوا بى ،مع أنه كان يقول منذ قليل لمن يعظه بصلة أرحامه : مهما فعلوا بك لابد من صلتك بهم ومهما أساءوا إليك فلا بد من إحسانك إليهم لأنك مسلم ، والمسلم لا يقابل الإساءة بإساءة ،وإنما يقابل الإساءة بالإحسان ،ويعفو عمن ظلمه ،ويصل من قطعه ، ويعطى من منعه اتباعاً لسنة حبيب المصطفى المختار – صلى الله عليه وسلم – الذى بعثه الله – عز وجل – ليتمم مكارم الأخلاق ،وتلك مكارم الأخلاق

فهلا كان لنفسه هذا التعليم!

إنّ المفارقة بين العلم والعمل آفة الآفات فى الحيلولة بيننا وبين جنة ربنا عز وجل –كما أنه آفة الآفات فى تخلفنا عن سائر الأمم التى تقدمت فى زمن يسير، بعد كوارث من حروب وغيرها، كالصين واليابان ، وأمريكا التى لم تكن شيئا مذكوراً على خريطة العالم منذ زمن قليل بالنسبة إلى تاريخ الأمم والشعوب ، ونحن نعلم جميعا أنّ سر تقدم هؤلاء وغيرهم يكمن فى العمل

وهل دعت أمة ، أو مذهب من المذاهب إلى العمل كما دعا إليه الإسلام!

فإن قال قائل : والعلم كذلك قلت والعلم أيضا ألا نحفظ جميعا أن أول ما نزل من الذكر الحكيم قول الله – تعالى- : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ـ ٥ ،وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩ ، وقوله –عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ فاطر: ٢٨

إنها القضية التى لم تتغير ،قضية المفارقة بين العلم والعمل،واعتقادنا فى التوكل مع تواكلنا دليل على تلك المفارقة، وإيماننا بالعلم مع عشقنا للدجالين دليل تلك المفارقة ، وكوننا نؤمن بأن العمل سبيل التقدم مع الكسل والخمول دليل تلك المفارقة

وما أكثر هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ، والله - عز وجل- يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ الصف: ٢ - ٣

وإذا عرفنا ذلك أدركنا أنه العلاج الذى يصلح الله -تعالى به دنيانا التى فيها معاشنا وديننا الذى هو عصمة أمرنا وآخرتنا التى إليها معادنا

وما من شك فى أن العمل بما نعمل سبيل النجاة ودخول الجنة ،التى هى مبتغانا جميعا ، إذا كنا نعقل ، ألا ترى إلى قول أهل النار : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾ الملك: ١٠ - ١١

ولابد فى هذا السياق أن يكون للناس قدوة فى ذلك ،فهذا من باب دفع الله الناس بعضهم ببعض، والله -تعالى- يقول : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥١

ذلك لأن المرء إذا وجد من حوله يعملون بما يعلمون عمل مثلهم حتى يكون العمل له آية وعدة يشعر بالعدم إنْ تركه ،كما كان الرجل يدخل فى هذا الدين بغية المال حتى تمكن الإسلام من قلبه ؛فأصبح لا يعدل به الدنيا

كما أنه على ولى الأمر أنْ يفعل قوانينه ، فلا يهمل فى شأن الرعية التى قد تضيع بسبب إهمال فرد من أفرادها ،وهى حتما تضيع بسبب إهمال الكثير من أفرادها

وقد حاول بعض الناس ألا يقام الحد على امرأة منهم سرقت ،فأرسلوا فى ذلك أسامة بن زيد؛ ليخاطب فيها رسول الله ﷺ فغضب رسول الله ﷺ وقال لـه : " أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؛ لقد أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " .

وبهذا المنطق أقول لو طبق القانون على كل الناس لكان فى ذلك الخير كله لكل الناس ،فنحن نرى أنه لا يطبق إلا على المساكين ولا يدفع الضرائب كذلك إلا المساكين ولا يؤخذ بأدنى جريرة إلا المساكين ،وهكذا ، أما الأغنياء والأقوياء ،أبناء الأكابر فهم فى حل من هذا، فلا يطبق عليهم قانون ولا لائحة ؛فهم يزعمون أنهم فوق القانون ،وفوق كل لائحة ،إنهم فوق الناس ،يحاسبون الناس ولا يحاسبهم الناس ، وفى ذلك فساد كبير

وقد قال ﷺ : " صلوا كما رأيتموني أصلى " ،فما قال النبي ﷺ : صلوا ثم قعد أو نام ولم يصل

وقد قال لى أحد الثقات إنه ذهب مع بعض الناس إلى أحد الذين يزعمون أنهم أولياء الله الصالحين ،فلما حضرت الصلاة قال لجلسائه :قوموا إلى الصلاة ؛ فقاموا وظل هو مكانه ولم يقم معهم ؛فسأله الرجل لِمَ لَمْ تصل يا مولانا! فقال : أنا أصلى فى الكعبة ؛فقال :كيف! وأنت لم تسافر ،ولم تترك مكانك ؛ فقال : أصلى بروحي هناك ،تسافر روحي ،ويظل جسدي هنا، وهنا قال المريدون هاتفين:، الله أكبر،الله أكبر مدد مدد بركاتك يا سيدنا بركاتك يا مولانا

وفى الحضور ومن المريدين أساتذة،يحملون عليا الشهادات ،ومع ذلك يهتفون قبل غيرهم

وتلك عين المفارقة بين ما يحملون من عليا الشهادات ،وليس فيها شيء من هذا ، أي ليس فيها شيء اسمه: تسافر روح العبد إلى مكة لأداء الصلاة هنالك، بينما يظل بجسده فى مكانه بمصر، أو بغيرها يعلمون ذلك ،ويؤمنون به ولكن عند الامتحان يضعونه فى أوراق الإجابة ،ويحصلون على أعلى الدرجات ، ويحتلون أكبر المناصب ، ولكنهم حين يمارسون الحياة يصبحون شيئا آخر مختلفا لا يعرفون شيئا مما درسوا كأنهم درسوا شيئا لم يقتنعوا به

والعلم الذى درسوه علم بنكي ،يخرج عند اللزوم ،واللزوم عند إلقاء المحاضرات ، وغيرها وعند الممارسة للحياة يكونون شيئا مختلفا ،وما أسوأ أن يحفظ الإنسان علما نافعا، ويسلك سلوك الجاهلين ،الذين لا يعلمون،وقد قال الله-تعالى-: فلا تكونن من الجاهلين،،

أي الذين لا يعلمون،أي الذين يعملون أعمال الجاهلين،أو الذين يعلمون ولا يعملون بما عملوا،وقد قال الله-عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ الصف: ٢ - ٣

ومما مدح به العلماء السابقون أن قيل فيهم :العلماء العاملون ؛فالعالم العامل هو العالم بحق ،الذى يصح أنْ يكون قدوة ،وهو بلا شك ينفعه علمه، وينفع به

غيره ،ذلك بخلاف الذى حفظ العلم ،كما استودع المال فى البنك، يكون بمثابة الجثة فى القبر ،بلا حراك ، وهنالك فرق بلا شك بين المال المودع فى البنك ويخرج عند اللزوم وبين العلم المودع فى الصدور، ويخرج عند اللزوم ، وهو أنّ العلم الذى يخرج عند اللزوم إنما يخرج مسكنا ، مؤقتا ، لا علاجا ناجحا نافعا،بينما يخرج المال غيثا نافعا يروى البلاد والعباد ،وهكذا نجد الفرق واضحا بين المعاني ، كما هو واضح بين معالم الطريق ، ووضوح المعاني أهم عند العقلاء من وضوح معالم الطريق ؛ لأن وضوح معالم المعاني يهدى إلى معالم الطريق ؛فقد تتضح معالم الطريق ،والساري جاهل لا يبصرها ولو كان المعنى واضحا أمامه لاهتدى إلى طريقه وإن لم تبصرها عيناه،ألا ترى قول الله – تعالى- : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾ عبس: ١ - ٢، ووصف هذا الأعمى بقوله بعد: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ عبس: ٨ - ١٠ ، فوصف الأعمى الذى لا يبصر بعينيه بأنه جاء إلى الحق يسعى وهو يخشى ، وكم من أعمى النظر يرى الحق وكم من سليم النظر ، لا يرى شيئاً .

ولذلك قال ربنا- تعالى -: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦ ﴾ الحج: ٤٦

وأصحاب الجنة أصحاب قلوب مبصرة ،وصدور نيّرة، والدليل على ذلك قول الله-عز وجل-: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

فالرسول ﷺ على بصيرة هو ومن اتبعه من المؤمنين، والبصيرة نور فى القلب يهدى إلى معالم المعاني

ومن ذلك على سبيل المثال أنّ المؤمن يرى القليل الحلال خير من الكثير الحرام ،بينما ترى العين القليل قليلا بغض النظر عن كونه حلالا أو حراما،ومن هنا ندرك الفرق بين نور العين ونور القلب ،ومن سلم نور قلبه سلم نور عينيه،كما أنه من سلم نور قلبه سلم خطوه وسمعه ، فهو لا يمشى إلا فى طاعة ،ولا يسمع إلا طيبا ؛لأن القلب -كما قال النبي ﷺ : " مضغة فى الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله " ، وكما قال بعض العلماء :القلب ملك والجوارح جنود ،أي أنّ القلب كما يأمر الجوارح تفعل

وقد وجدنا أنّ الدين كله مبنى على القلوب فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل

والعمل ذاته مبني فى هذا الدين على القلب لأنّ الأعمال كما روى البخاري فى صحيحه من حديث عمر -رضى الله عنه-عن النبي ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات " ، والنية محلها القلب .

وقد قال الله -عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧

والعلماء يقولون فى باب الدعاء :إنّ الله لا يستجيب دعاء من كان قلبه غافلا ،وليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها؛ وكم من داع وقارئ ومصل وتالٍ لكلام الله -عز وجل - وهو لا يعقله ولا يدرك معناه ولا مقتضاه

حتى فى حياة الناس الاجتماعية ترى إسرافا فى الكلام ولا فعل فقد قال لها أحبك ولم يفعل من أجلها شيئا وكم قال له : أنت عندي أعز الناس وأغلى وأعز عندي من نفسي وولدي ،وأفتديك بروحي ومالى ،فلما جد الجد،وعزم الأمر واحتاج إليه فى شيء تافه هرب منه ، أو اعتذر حيث لا عذر له ، ولا وجه لاعتذاره ،سوى أنه لا يحبه ،إلا على وجه الحب الذى يعرفه الناس ،وهو حب الكلام ،أي الحب باللسان ،كالذكر باللسان والتلاوة باللسان وكل شيء باللسان فى هذا الدين لا خير فيه ؛فالمعول عليه القلب ،واللسان إضافة وزيادة أي أنك تذكر الله بقلبك أولا فإن ثنيت باللسان ففى ذلك الخير،ولا بأس ،وإنْ ذكرت ربك بالقلب دون اللسان كفاك ،أما إذا كان ذكرك باللسان فقط فتلك هى المأساة والخطر الكبير؛فإنّ القلب محل الذكر وموطنه،

من أجل ذلك كان على المخاطبين ب"قوا أنفسكم وأهليكم نارا" أنْ يعوا ذلك ،أنْ يربوا أبناءهم على أنْ يكونوا أولى قلوب سليمة ؛ فإنّ أصحاب الجنة

هم أولوا القلوب السليمة ،قال الله –تعالى- : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩

وإذا كان مفتاح الجنة لا إله إلا الله ،وكانت أسنانه أنْ تشهد بقلبك قبل لسانك؛فإنّ القلب مهم جدا بالنسبة إلى المفتاح ذاته،بدليل أنّ الذى يكره على الكفر لا حرج عليه ما دام قلبه مطمئن بالإيمان ،قال الله-تعالى-: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ النحل: ١٠٦ - ١٠٩

وقد عذب المشركون عمار بن ياسر رضى الله عنه عذابا شديدا ولم يكن أمامه كي يخففوا عنه سوى أنْ ينطق بكلمة الكفر بلسانه ،وأصابه من الهم والغم ما أصابه خصوصا بعد أنْ سمع الناس يقولون :كفر عمار،وما هدأت نفسه حتى قال النبي ﷺ :عمار مؤمن من رأسه حتى قدميه ، بل إنه ﷺ قال له:إنْ عادوا فعد، أي إنْ عادوا إلى تعذيبك ولم يكن أمامك من مفر من تعذيبهم إلا أنْ تقول كلمة الكفر بلسانك فقلها بلسانك

والذى دخل اليقين فى قلبه،واستقر فيه لا يعرف إلى الشرك بالله سبيلا،فهو لا يعرف الدجل ولا يمشى إلى الدجالين ،ولا يعرف النجوم ،والأبراج ولا حظك اليوم وأمس ،ولا يتطير ،ولا يتشاءم من شيء، ولا يؤمن بشيء نفاه القرآن الكريم،والسنة الصحيحة المطهرة،

وقد كان النبي ﷺ أحرص ما يكون على نزع فتيل الشرك من طريق الناس بأقصى سرعة ،كسفت الشمس يوم موت ولده إبراهيم؛فزعم بعض الناس أنها كسفت لوفاة ابن النبي ،فلما علم بذلك جمعهم ،وخطب فيهم ،وقال لهم :إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لمولده،فإذا رأيتم ذلك فاهرعوا إلى الصلاة ،وتصدقوا

وحين مات صاحبه أبو أمامة أسعد بن زرارة - رضى الله عنه- قال اليهود : " لو كان نبيا لدفع عن صاحبه ؛ فقال – عليه الصلاة والسلام - يقولون :لو كان نبيا لدفع عن صاحبه ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا "

"الاستيعاب لابن عبد البر٤/ ١٦٥"

وما أكثر الذين يزعمون هذا الزعم اليوم ،وأكثر منه ،أما رأيت من يصدق بأنّ هناك من تسافر روحه إلى مكة ليصلى بالكعبة ،وجسده قابع فى مكانه بمصر،أو بغيرها ،وما أكثر الذين يقولون:فلان ب "يعرف" أي يعرف الغيب،ولا يعلم من فى السماوات ومن فى الأرض الغيب إلا الله، وقد قال الله –عز وجل-: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ

لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنعام: ٥٠

فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب ،فمن من الناس يعلمه !

ويقول –عز وجل-: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨

فقضية العلم بالغيب من أهم القضايا التى تجرح المفتاح العزيز ،والتي تذهب به ؛فإنّ من يشهد ألا إله إلا الله، شهادته تقتضى أن لا يعلم الغيب إلا الله ،ولا يملك النفع والضر إلا الله

فلو أنّ الأمة كلها إنْسها وجنها اجتمعت على أنْ ينفعوك،فلن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ،ولو اجتمعت على أن يضروك فلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك،وهكذا يؤمن من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه،ويتوكل على الله ربه ،آخذا بالسبب ، مؤمنا بأنّ السبب وحده لا يحقق له غاية ،ولن يبلغه مبلغه إلا إذا أراد الله عز وجل ،

من أجل هذا كان علينا وعلى كل مهتم بالدعوة إلى الله –عز وجل- أنْ يبين للناس ما يصلح هذا المفتاح ابتداء قبل أنْ يذكر الأسنان ؛فإنه لا يستقيم عقلا

أنْ يبحث المرء عن الأسنان لمفتاح هش أو ضعيف ، فعلى أي شىء يضع الأسنان

وقد رأينا أنّ الذين يذهبون إلى الدجالين معظمهم يقولون: لا إله إلا الله ،فهل من مقتضى هذا التوحيد أنْ يظنوا أنّ أحدا يملك لهم نفعا أو ضرا !

وهل من مقتضى هذا التوحيد أنْ يقرأ الفنجان ،وأنْ يظن أنّ أحداً قابله فى صباحه أو رأى فيه قطة سوداء وغيرها- يمكن أنْ يحول عنه قدر الله من قدر إلى قدر! لا شك أنّ المؤمن يعلم ألا يملك له أحد إلا الله نفعا ولا ضرا، وهو يسلك وفق ما يؤمن به ، ولا يسلك سلوكا يخالف به معتقده وما يؤمن به؛لأن مقتضى الإيمان العمل ،وكذلك مقتضى العلم؛فلو فهم الناس أنّ مفتاح الجنة فى قول لا اله إلا الله لما كانت هناك مشكلة عندهم،فقد توجه الأعشى الشاعر قاصداً رسول الله ﷺ ليعلن إسلامه فقابله المشركون،وسألوه

إلى أين؟

فقال : إلى محمد ؛ فقد آن الأوان .

فقالوا : أتدري أنه يحرم الزنا .

فقال : لا حاجة بى إلى النساء .

فقالوا : أتدري أنه يحرم الخمر .

فقال: أما هذه فلا غنى لى عنها فلأرجع؛ لأرى منها نفسي منها هذا العام،ثم أعود إليه العام القادم

ورجع الأعشى،ولم يرجع العام القادم؛فقد وافته المنية،ومات على كفره

إنّ رجلا مثل الأعشى يدرك أنّ الدين ليس مجرد نطق بكلمات ولو كان هذا صحيحا لهان الأمر عليه وعلى غيره من كثير من الناس

فالذى يسهل عليه أنْ يقول دون أنْ يعمل هو المنافق ألا ترى إلى قول الله-عز وجل-: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ البقرة: ٨ - ٩

إنه المنافق الذى يبطن الكفر ويظهر الإيمان،وهو والكافر سواء، وإنْ كان أشد خطراً منه؛لأنه يعيش بيننا ويصلى فى صفوفنا ويدعي أنه منا ،وأنّ له ما لنا وعليه ما علينا ،فإذا جد الجد فرّ منا وادعى أنه لا يعرف قتالا ،ولو كان يعرفه لاتبعنا

أمّا المؤمن فإنّ ظاهره يوافق باطنه،فهو صادق يحب الصدق ويلزمه

كان عبد الله بن عمرو بن العاص –رضى الله عنهما–على فراش الموت وقال:

ائتوني بفلان ؛فقد وعدته بأنْ أزوجه ابنتي ،ولا أحب أنْ ألقى الله – تعالى– بثلث نفاق ، وزَوَّجَهُ .

الفصل الثاني

أسنان المفتاح

١ـ الصلاة

ذكر ابن عباس أول ما ذكر من أسنان مفتاح الجنة :الصلاة

وقد قال ﷺ :الفرق بيننا وبينهم الصلاة

ورأى ﷺ رجلا فى المسجد لم يصل؛فقال له:

لِمَ لَمْ تُصلّ ،ألست مسلما؟

فكيف يدعي تارك الصلاة أنه ملك مفتاح الجنة،لأنه قال لا اله إلا الله

وأنه طيب القلب نظيف اليد كريم

وقد شاع هذا المعنى الفاسد بين الناس،لما رأوا شحاً فى المصلين،وفساد خلق،فمعظم الشكوى تأتي ممن يصلون الفجر الحاضر ، فهم الذين يسيئون إلى زوجاتهم ،وإلى جيرانهم ،وإلى زوجاتهم،وإلى الناس جميعا ، ومن ثم يفضلون تارك الصلاة على المصلى ، ويؤثرونه على غيره ، وإن هى إلا أيام ، ويرون منه الأباطيل ، وبعدها إما أنْ يلعنوا الجميع ، وإمَا أنْ يلعنوا ذلك الوغد،الذى كان أول الأمر مفضلاً على غيره ، أي من المصلين الذين لم يستقم سلوكهم وسلوك دينهم ، ولو كان من هؤلاء المصلين من فعل ذلك بهم ،لازدادوا له لعنا .

وقد أساء بعض الدعاة حين قالوا:إنّ العبرة فى هذا الدين ليست بالصلاة والزكاة والصيام، وإنما العبرة بمكارم الأخلاق وقد سمعت أحدهم يقول:هل تظنون أنّ الله –تعالى–بعث النبي سيدنا محمدا ﷺ ،ليعلمنا الصلاة والصيام لا لا لا، إنما بعثه ليعلمنا مكارم الأخلاق ؛فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

وهذه مبالغة بشعة فى التهوين من شأن العبادات ،فقد قال عليه الصلاة والسلام : " صلوا كما رأيتموني أصلى " ، وقال : " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " ، وقال : " خذوا عنى مناسككم " ، وقال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ؛ فلا بد من الجمع بين ما بني عليه الإسلام من أركان ومن روح تلك الأركان التي تتمثل فى الاستقامة على مكارم الأخلاق .

٢ ـ الزكاة

والزكاة ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين و إقام الصلاة وفى معظم آيات الذكر الحكيم نجد أنّ الأمر بإقامة الصلاة جاء مقرونا بالأمر بإيتاء الزكاة كما فى قوله-تعالى-: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، وقد قال العلماء فى ذلك: لأنه لا يؤدي الزكاة فى الغالب إلا المصلون

ومن هذه المعلومة القيمة ندرك أنّ إقامة ركن من أركان هذا الدين يشجع على إقامة آخر؛فالذى يصلى تشجعه صلاته على أداء الزكاة المفروضة، والذى يصوم يشجعه صيامه،على تلاوة الذكر الحكيم، وهكذا، كما أنّ إهمال ركن يؤدي إلى إهمال بقية الأركان ،فالذى لا يصلى لا يحرص على إيتاء الزكاة،وهكذا

وكم من صاحب مال بلغ ماله النصاب،ولا يخرج زكاته، وكم من صاحب زرع وماشية وذهب،ولا يخرج زكاة ذلك ، وقد جاء فى هؤلاء أنّ أموالهم ستمثل لهم شجاعا أقرع من نار يطوق به قائلا لهم:أنا مالكم أنا كنزكم وقد قال الله –عز وجل- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ التوبة: ٣٤ ـ ٣٥ فهل تتصور أنّ مانع الزكاة ملك مفتاح الجنة!

٣ ـ الصيام

والصيام ركن من أركان الإسلام قال الله-تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

فالصيام سبيل إلى التقوى ،وهو وقاية ، وجنة ،وللصائم دعوة مستجابة، ومن روحه البعد عن قول الزور والعمل به ،وفى الحديث :

(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أنْ يدع طعامه وشرابه)،

وليس معنى ذلك أنّ من قال الزور أو عمل به أفطر وعليه القضاء ، وإنما فاته خير صومه وبركته، أو كان صومه صوما مجروحا،

وكم من قادر على الصيام ، وهو يفطر عمدًا،

فهل تظن أنّ من أفطر عمداً فى نهار رمضان ، قد ملك مفتاح الجنة!

٤ ـ الحج

والحج ركن من أركان الإسلام، قال الله –تعالى-: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ ﴾ آل عمران: ٩٧ ، وقال النبي ﷺ : " إنّ الله كتب عليكم الحج فحجوا " ، فقال رجل هو الأقرع بن حابس : أفى كل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ حتى أعادها ثلاثا؛فقال ﷺ : " لو قلت :نعم لوجبت ،ولما استطعتم " ، والله-عز وجل-يقول : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٩٧

ولا فسوق ولا جدال فى غير الحج ولكن نفيهما فى الحج من باب أولى، والحاج مجاهد فى الحج بماله ،وبنفسه يبتغي بهذا الجهاد وجه الله –عز وجل –ورحمته الواسعة ،وفى الصحيح قال ﷺ : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من حجه كيوم ولدته أمه)

وذلك إذا كان حجه من مال حلال، فمن اللحظة الأولى حين يقول:لبيك اللهم لبيك ينادي من قبل السماء:لبيك وسعديك حجك مبرور وسعيك مشكور ، أمّا الذى يحج من مال حرام فمنذ اللحظة الأولى، حين يقول:لبيك اللهم لبيك ينادي من قبل السماء :لا لبيك ولا سعديك

ومن هنا تتضح فكرة الربط بين العبادة المشروعة ،وبين السلوك؛فإنّ كلا منهما من أسنان مفتاح الجنة

روح العبادة

والعبادة مكونة من بدن،وروح ،كما أنّ الإنسان نفسه مكون من بدن وروح،والله – عز وجل – حين أمر الملائكة بالسجود لآدم-عليه السلام-لم يأمرهم بالسجود له إلا بعد أنْ ينفخ فيه من روحه ،قال الله –عز وجل- : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٩

ومن هذا المعنى علينا أنْ نفيد من روحه ،وأنْ نستثمر الفكرة فى مثل هذا السياق،فالعبادة من حيث كونها بدناً أي مجرد أداء لا تلفت الانتباه ولا تسبي النواظر،فهى مجرد شكل،ومنظر ،إنما تتجلى العبادة آية إذا اكتملت،وصارت ذات شكل ومعنى ،أي ذات بدن وروح

وتكون العبادة ذات بدن بإقامتها،وتكون ذات روح بأثرها فى سلوك مَنْ أقامها،فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر،قال الله-تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت: ٤٥

وفى الحديث:مَنْ لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا

وكذلك الصيام ؛ألست ترى روحه فى التقوى ،

وهى جماع القول والخير؛لقول الله-تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

وكذلك الحج تتجلى روحه فى الجهاد بالمال والنفس وتحمل المشاق فى طاعة الله -عز وجل- والتواضع لله، واتباع سنة رسول الله ﷺ القائل: خذوا عني مناسككم، ما قال الحاج: لِمَ أقف بعرفة؟ أو لِمَ أرمى الجمرات بمنى أو لِمَ أطوف؟ أو لِمَ أسعى؟ أو لِمَ أفعل ذلك سبعا دون غيره من العدد؟ وهكذا وإنما يفعل ذلك راضيا مطمئنا حريصا عليه سائلا الله القبول؛ لأنه يفعل كما كان رسول الله ﷺ يفعل

ألا يفعل كما كان رسول الله ﷺ فى معاملاته مع الناس!

حيث كان ﷺ سمحا متواضعا باراً رحيماً رفيقاً، حسن العشرة مع الأهل حسن الجوار

فَلِمَ حرص الحاج على التأسي برسول الله ﷺ دون أنْ يحرص على أنْ يتأسى به فى جميع صفاته وشمائله، التى تحقق الخير والسعادة للدنيا جميعا للمسلمين ولغير المسلمين؛ فهو رحمة الله للعالمين، للإنسان والحيوان بل وللجماد؛ فقد حن الجذع الذى كان يخطب عليه حين صعد على المنبر، وسمع حنينه الناس، ولم يهدأ حتى نزل من على منبره، وضمه إلى صدره الشريف، حباً وتحناناً،

ودعوته إلى الرحمة بالحيوان، معروفة، وقد روى البخاري فى صحيحه قول رسول الله ﷺ: " دخل رجل الجنة بسبب كلب سقاه كان يمشى فى الصحراء على ظمأ؛ فوجد بئرا؛ فنزل؛ فشرب، فلما خرج وجد كلبا يلهث من العطش

؛ فقال: لقد بلغ بهذا الكلب العطش مثل الذى بلغ بي؛ فنزل، فملأ خفه ثم صعد، فسقاه، فغفر الله له، فرحمه " .

وكذلك روي عنه ﷺ أنّ امرأة دخلت النار بسبب هرة (قطة) حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض

ولا شك أنه ﷺ رحمة للعالمين، ورسالته رسالة رحمة لا رسالة عذاب، وقد روى مسلم فى صحيحه قول رسول الله ﷺ: إنّ الله يعذب من يعذب الناس

وكم فى الناس من معذبين، يعذبون الناس ماديا ومعنويا؛ فليس العذاب ماديا فحسب، وإنما هو مادي بالضرب والجرح، ومعنوي بما لا يحصى من صنوف الأذى والتعذيب، ومن ذلك

١- التعذيب بالسب والشتم واللعان

وقد قال ﷺ: (ليس المسلم بسباب ولا لعان، ولا فاحش ولا بذيء)

٢- التعذيب بالسخرية والاستهزاء

والله - تعالى - يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ الحجرات: ١١

٣- التعذيب بالتنابز بالألقاب

قال الله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾

وقد عرف الناس الاسم واللقب والكنية ،فالاسم مثل :محمد واللقب مثل بشر والكنية مثل أبى الفضل ،وأم هانئ،واللقب منه جميل ومنه قبيح؛لأنه ما أفاد مدحا أو ضعة ،فأقر الإسلام المدح ،وطرح الضعة؛فمن سنة الإسلام أنْ تنادى المرء بأحب أسمائه إليه، وكان ﷺ يحب أنْ ينادى بأحب أسمائه إليه ،وهو رسول الله ،أي يحب أنْ ينادى بيا رسول الله

واليوم قل المدح وزادت الضعة ،وتفنن الناس فى ألقاب السوء،وشاع التنادي بها ، ومن هذا التفنن البغيض أنْ ينادى الرجل بيا أبا فلانة باسم عشيقته،لا ابنته، وأنْ تنادى المرأة بيا أم فلان ،باسم عشيقها لا باسم ابنها،وهذا من السوء،والفحش بمكان،حيث إنه من المناداة بلقب السوء ، ومن المعايرة بالذنب،وهو منهى عنه، كما اشتق من الحرف والمواقف،كذلك ألقاب سوء كذلك مثل أنْ يقال لمن يعمل فى الميكانيكا:يا بلية ،ويا بنزينة،ولمن حمل طبقا:يا أبا طبق، وهكذا

٤ـ والتعذيب بالمن والأذى

قال الله-عز وجل-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ البقرة: ٢٦٤

ولذلك قال الله -تعالى-: ﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٣

٥ـ والتعذيب بذكر العيوب الخلقية

وهو قريب من التنابز بالألقاب، كأن يقال :يا أعرج ويا أعمش ،و يا أزرق ،وللسمراء يا زرقاء،وهكذا،وقد قال العلماء: إذا كان ذلك مما اشتهر به ولا يؤذيه فلا بأس .

٦ـ والتعذيب بسوء اللقاء

كثير من الناس لا يحسن بعضهم لقاء بعض، لا يبتسم أحدهم فى وجه أخيه ،ولا يسرع فى تلبية حاجته،ولا يعيره اهتمامه،ولا يعطيه وجها

والمعهود عن سيد الوجود سيدنا محمد ﷺ أنه لم يكن أحد يشعر فى مجلسه الشريف بأنّ أحداً أحب إليه منه،لأنه كان ينظر إلى جميع الناس بنظرة واحدة كل ما فيها حب واحترام وتقدير

وتلك من عبقرية النبوة التي ينبغي أنْ يتحلى بها كل مسلم مؤمن برسالته ﷺ

لكنا نجد مع الأسف مفارقة عجيبة فى هذا السياق حتى فى الأسرة الواحدة، ألست ترى الرجل لا ينظر إلى أبنائه نظرة واحدة بل يشعر أحدهم بأنه أحب إليه من أخيه،ويغرس بذلك البغض بينهم ،الذى قد يمتد إلى ما بعد وفاته

وقد روى البخاري فى صحيحه من حديث عائشة -رضى الله عنها-أنّ رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له بئس أخو العشيرة،أي أنه إنسان لا يعاشر ،فلما دخل عليه أحسن ﷺ لقاءه على عادته والمعهود عنه من خلقه العظيم ،فلما

خرج الرجل من عنده كان من مقتضيات العقل أنْ يسأل ﷺ عما ظاهره المفارقة بين القول والسلوك ؛فقد ذم الرجل حيث قال :بئس أخو العشيرة،وأحسن إليه حين لقيه ،فقال ﷺ :إن شر الناس من هجره الناس اتقاء فحشه

فهل يزعم من هجره الناس اتقاء فحشه أنه ملك مفتاح الجنة!

إنّ من ملك مفتاح الجنة حمد الله -عز وجل -على نعمة دخوله فى الإسلام ، وكان عليه أنْ يجتهد من أجل أن يحقق أسنان هذا المفتاح ؛بأنْ يتعلم دينه ولن يتعلم دينه إلا على يد أستاذ؛ لأن هذا الدين علم، وعلى المسلم أنْ ينظر ممن يأخذ دينه ، كما ينظر على من يتداوى ؛ومن الذى يسلم بدنه وينام أمامه ،ويقول ما يأمره أنْ يقوله ،ويتنفس وفق ما يريد طبيبه ، ويتناول الدواء الذى يصفه له دون اعتراض

وصحة الدين لا تقل أهمية عن صحة البدن ؛ ألا ترى الرجل من الصحابة – رضوان الله عليهم-كان إذا ابتلى بشىء قال :الحمد لله الذى لم يجعل مصيبتي فى ديني،ولا شك أنّ مصابه فى بدنه من تلك البلوى ،قال الله-تعالى-: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ .

وقال –عز وجل-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧

وقد كان الرجل منهم يقول - أي من مسلمي الفتح أو المؤلفة قلوبهم - ما أسلمت إلا من أجل الدنيا أي المال الذى كان يأخذه لتأليف قلبه فلما تمكن الإسلام فى قلبي صرت لا أعدل به الدنيا حتى من عاش منهم فى فتنة واختبار مثل كعب ابن مالك – رضى الله عنه إذ تخلف عن رسول الله ﷺ فى تبوك وكان ما كان من تمحيص قلبه ،حيث اعتزله الناس بأمر رسول الله ﷺ أرسل إليه أحد الملوك غير المسلمين يدعوه إليه حيث الحياة الوارفة الظلال والملك والسعة وقال له بالنص :بلغنا أن صاحبك قد جفاك فائت إلينا تجد الملك والسعة ؛ فقال كعب: لا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذه أيضا من الفتن ،وسجرها فى نار كانت أمامه، ورسول الملك يرى ذلك ،وقد كان ذلك أبلغ رد ، يعود به إلى الملك الذى ظن أنّ الدين عند كعب قد تزعزع وأراد أن يصطاد كما يقولون فى الماء العكر ، لكنه فشل إذ نجح كعب ، وقد تاب الله – تعالى عليه وعلى صاحبيه ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ التوبة: ١١٨

وهذا بخلاف المنافقين الذين قال الله-تعالى فيهم : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ

ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

الأحزاب: ١٣ - ١٧

ومعنى ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا أي أنّ أحدهم لو كان مكان كعب –رضى الله عنه – فى هذا الموقف وجاءته رسالة من هذا الملك يدعوه إلى الملك والسعة على أنْ يترك دين محمد ﷺ لما انتظر حتى يضع نعله فى رجله ولأسرع إليه مع رسوله دون طول انتظار أو كما يقول العوام (على لطة)

وهذا من الفروق بين المؤمن الحق والمنافق،فالمؤمن الحق ثابت على دينه برغم الشدائد ، والمنافق عند الشدة إذا دعاه داعي دينه إلى قتال أعداء دين الله الذى أقر به بلسانه قال :لا أعلم قتالا ولو أعلم قتالا لاتبعتك ،وهو كاذب

بخلاف المسلم الذى إذا دعاه داعي دينه إلى الجهاد سره ذلك ألا ترى إلى قول الأنصار لرسول الله ﷺ يوم بدر لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛فلن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى:اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ولكنا نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون

بل كان الغلام من المسلمين الحدث يأتي رسول الله ﷺ حاملا سيفه يريد أنْ يقاتل مع الفرسان الكبار فإذا رده رسول الله ﷺ بكى

والصبر من أهم أسنان مفتاح الجنة ، من أول عهد الناس بهذا الدين و النبي ﷺ يعلم أتباعه الصبر،

جاءه خباب بن الأرت رضى الله عنه،وقال:يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؛فقد أوذينا ؛فقال له ﷺ :اصبروا ؛فقد كان يؤتى بالرجل المؤمن قبلكم ،ويوضع المنشار فوق رأسه؛فيفلق نصفين ؛فيلقى الله وهو على دينه

وقد صبر الناس ومن قبلهم سيد الناس ﷺ على صنوف التعذيب وعلى الجوع وهاجروا ،وأخرجوا من ديارهم ،وأموالهم،وذلك من أجل جنة ربهم –والجنة غالية-: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ آل عمران: ١٩٥

وفى الصبر كلام مهم خلاصته أنه كما يكون على الابتلاء يكون كذلك على النعم ؛لأن النعم توفرها يدعو الإنسان إلى الإسراف ،و اتباع الشهوات

الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره

المكاره لا تعنى البغض ، وإنما تعنى تحمل الشىء من المشقة ؛ بدليل قول الله – تعالى – ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ الأحقاف: ١٥

وهى تحمله بمشقة ، لكنه أحب المخلوقات إليها ، وتلده بمشقة وتتمنى أنْ تموت ، وهو يعيش ،

فحين تعلم أنّ الجنة حفت بالمكاره لا يعني ذلك أنها محفوفة بالأمور المنغصة إلى الإنسان الذى يحمل نفسه على قبولها حملاً عنيفاً ، وإنما تعنى أنها حفت بالأعمال التي لا تهواها النفس كثيراً ، كما تهوى الشهوات

وقد قال الله – عز وجل – ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٣٤ - ٤١

ونهى الإنسان نفسه عن هواها أمر فيه مشقة بلا شك ، ولكن سرعان ما تتعود النفس على تلك المشقة ، ولله در الإمام البوصيري ، حيث قال :

والنَّفسُ كَالطِّفلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرّضَاع وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِـــمِ

وقد قيل إنّ أفضل بيت قالته العرب

وَالنّفْسُ رَاغِبَةٌ إذا رَغّبْتَها

وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

أي أنّ النفس تدفع ما تدفع فى الملاهى والشهوات ، ولا تهدأ ، ولا تسكن ، ولا تقنع ، فإذا نهيتها عن ذلك ، ورددتها إلى القليل قنعت به ، ورضيت ؛ فليس بيسير على الإنسان أن يرد نفسه إلى القليل ، وأن يلبسها ثوب القناعة والرضا بالعيش القليل ، وبعد ذلك تستقيم على القناعة ، وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ البقرة: ٤٥ - ٤٦

فقال تعالى : (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ)

ثم استثنى ؛ فقال : (إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ)

ولكن ما الذى جعل الخاشعين مستثنين

والجواب : أنهم كما قال الله تعالى –: (يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ)

ويظنون معناه : يعتقدون ، ومن اعتقد أنه ملاق ربه يوم الدين ، وأنه محاسبه ، وأن الجزاء عنده إما جنة وإما نار ، والجنة للمتقين ، والصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقامه ، ومن هدمها فقد هدمه ، والنار للفجرة الكفرة والفاسدين ، وتاركي الصلاة ، كان حريصاً على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، راضياً بحكم الله – عز وجل – ورسوله ﷺ ماضياً على هدي شريعته الغراء ، إلى آخر ما نذكره فى هذا العمل

والمرء ساعة يعتقد فيما عند الله – سبحانه – من خير ونعيم ، وما عنده – تعالى – من عذاب وجحيم ، يسعى إلى ما يقربه مِن الخير والنعيم ؛ لأنه لا طاقة له بعذاب الله – عز وجل –

من أجل هذا يهون عليه ما يبدو صعباً فى البداية ، فإذا تعوده صار بالنسبة إليه سهلاً ؛ فقد صار له عادة ،

ثم إن للإيمان ، وما يتفرع عنه حلاوة ، وإذا ذاق الإنسان طعم هذه الحلاوة بكاها إذا حيل بينه وبينها

ألا تري إلى قول النبي ﷺ حين هجم الأعداء من كل حدب وصوب : ملأ الله بيوتهم ناراً ؛ شغلونا عن صلاة العصر

ما قال شغلونا عن حركة الحياة ، من تحرك نحو سبل العيش ، ومن صلة بالناس والدواب ، وغير ذلك ، وإنما قال : شغلونا عن صلاة العصر ، وذلك : لأنها كانت قرة عين رسول الله ﷺ

((وجعلت قرة عيني فى الصلاة))

كان يقول : أذِّن يا بلال ، وأرحنا بها

وهكذا مَنْ أحبه ، واتبع هديه ،رأى فى الصلاة قرة عينه ،

لقد أوقف الكفار خبيب بن عدي – رضى الله عنه – ليصلبوه بالتنعيم ، وسألوه : هل تريد شيئاً قبل أن تقتل ؛ قال : أصلى ركعتين ؛ فتركوه ؛ فصلى ركعتين خفيفتين ، وأقبل عليهم وهو يقول :

لولا أنْ تقولوا : ((أطال فى صلاته خوفاً من الموت لأطلت))

لكن انظر إلى تلك اللحظة الفارقة بين الحياة والموت ، ماذا تمنى فيها ؟

تمنى أن يصلى ركعتين ؛ لتكون الصلاة آخر عهده بالدنيا ، وهل يود أي إنسان أن يكون آخر عهده بالدنيا إلا الشيء الذى يحبه ، فهو يحب الصلاة ؛ لأنها صلة بالله مولاه ، يناجيه بها ، ويدعوه ، ويقف ، ويركع ، ويسجد ، ويسأل الله فى سجوده ، إحرامها تكبير ، والخروج منها سلام ، وقد قال العلماء : إن المصلى حين يقول فى تشهده : ((السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)) فقد سلّم على جميع عباد الله الصالحين من الملائكة المقربين ، والرسل ، والأولياء ،

والشهداء ، وغيرهم من لدن آدم - عليه السلام - إلى قيام الساعة ، وله ثواب ذلك ، وهو كما ترى كثير ؛ فيا شقاء من لم يقل ذلك ! أي يا شقاء مَنْ ترك الصلاة

وقد ذكر السبكي - رحمة الله عليه - أنّ الإمام الذهبي - عليه رحمة الله - سأل والده فى الليلة الأخيرة من عمره عن حكم الجمع بين المغرب والعشاء بالنسبة إلى المريض ، وكان مريضاً ؛فأفتاه بالجواز ؛ فصلى العشاء مع المغرب ، ثم قال وهو يحتضر : الحمد لله الذى توفاني فى يوم ، لم أترك فيه فريضة ، ومات رحمه الله قبل أن يؤذن للعشاء

وروى أهل السير والتاريخ أنّ معاذ بن جبل - رضى الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ بكى عند موته ؛ فقيل له : أتبكي جزعاً من الموت ؟

فقال - رضى الله عنه - :

والله ما أبكي جزعاً من الموت ، وإنما أبكي على الصيام فى الهواجر ، وعلى مجالس العلم

أي أنه سوف يفوته بسبب الموت الصيام فى الحر ، وحضور مجالس العلم ، وذلك ؛ لأنه - رضى الله عنه - تذوق حلاوة ذلك ، وغيره ، لكنه ذكر على وجه الخصوص أحب الأشياء عنده ، وأحب الأشياء عنده أن يصوم فى الحر

ابتغاء عظيم الثواب ، وأن يحضر مجالس العلم ، التي تغشاها السكينة ، وتنزل عليها الرحمة ، ويذكر الله أصحابها فى ملأ عنده من الملك المطهرين فى عليين

وقد قال على - رضى الله عنه - : أحب من الدنيا ثلاثة : إكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، وضرب أعداء الله بالسيف

ونحن إزاء ذلك فى حاجة إلى تعلم هذه الدرس التربوي ، ونحن نربي الأجيال ، فإن الأطفال ، والغلمان يميلون كل الميل إلى اللعب الدائم ، والعبث ، ولا يستذكرون دروسهم إلا قليلاً

ولطالما شكا آباؤهم وأمهاتهم ذلك ، ولنا أن نقول لهم : عَوّدُوا أبناءكم حب العلم، وحضور مجالس الذكر ، ومصاحبة المتقين إلى ذلك ، دون عنف ، أو قسوة ، أو تهديد ، أو وعيد ، أو حرق بالنار ، أو حرمان من المصروف

واجعلوا من أنفسكم أسوة لأولادكم ؛ فإن هناك فرقاً بين أم تقعد مع أولادها وهم يستذكرون ، أو تشاركهم إن كانت متعلمة ، ومن أخري تقعد أمام التلفاز ، وتشاهد الأفلام ، والمباريات ، وتدخل عليها ابنتها أو ابنها فتقول : قم مِنْ هنا ، واقعد على كتابك

إنها(أي الابنة) تود مشاركة أمها فيما تفعل ، وهى لا صلة لها إلا بالتلفاز ، وقزقزة اللب ، ومضغ اللبان ، ومهاتفة الصواحب والأخوات ، و الرغي فى كل وادٍ ؛ فكيف يستسيغ الطفل أو الطفلة مفارقتها ، والقعود أمام كتابه ،

وكذلك على الشباب الواعي ، الذى يدرك معنى العافية ، أن يجاهد نفسه ، وأن يستقيم على منهج الله – عز وجل – وألا يشغله شاغل عن إقامة الصلاة على وجهها ، فإن أول ما يحاسب عليه المسلم الصلاة ، وقد قيل للمجرمين كما جاء فى سورة المدثر: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المدثر: ٤٢

فكان جوابهم: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المدثر: ٤٣ - ٤٤

وانظر إلى الذين لم يُصلوا فى الدنيا ، وقد قال الله فيهم: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ القلم: ٤٢ - ٤٣

أي كانوا يدعون إلى الصلاة وهم فى الحياة الدنيا ، يستطيعون أن يصلوا ، وقد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً ، قال ﷺ : ((جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل))

وكذلك من المكاره ما ورد فى الحديث الشريف أن من المكفرات إسباغ الوضوء على المكاره ، خصوصاً فى الشتاء ، وقد قال ﷺ : ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ))

ومَنْ تعود إسباغ الوضوء أسبغه ولو فى الشتاء بماء بارد ؛ لأنه لا صلاة بلا طهور ، ولا صدقة يقبلها الله من غلول

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنّ رسول الله ﷺ قال : ((إنّ الله لا يقبل صلاة بلا طهور ، ولا صدقة من غلول))

وكذلك المال ، الذى هو محبب إلى النفس بلا شك يهون مع شىء من المشقة على المتصدق ، حتى يعتاد الإنفاق ؛ فيصير بالنسبة إلى سائله كأنه هو الذى يأخذ منه ، وليس الذى يعطيه

كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وقد كان حكيم بن حزام – رضى الله عنه – إذا خرج ولم يجد مسكيناً ببابه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أي أنه يعد ذلك مصيبة ؛ فانظر إلى إنسان إذا قابله سائل ، ومدّ إليه يده ، شعر بشىء من الضيق ، وانظر إلى فعل حكيم بن حزام – رضى الله عنه ،الذى كان يعد عدم وجود سائل ببابه مصيبة يسترجع بسببها ، حيث يقول : ((إنّا لله وإنّا إليه راجعون))

لاشك أنّ المال محبب إلى كل إنسان ، فهو ينفقه حتى على نفسه بشىء من المشقة و لكنه كما قلت يهون عليه من أجل حبه ثواب ربه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإنسان: ٥ - ١٢

أي أن الأبرار من صفاتهم التى مدحهم الله بها – أنهم يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، وقد قالوا : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ،إنا نخاف من ربنا يوماً عبوسا قمطريراً ، قال الله – تعالى – :

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإنسان: ١١ - ١٢

إنها الجنة التي من أجلها يهون المال ، والمال ليس أغلى من النفس ، وقد هانت ، ألا ترى إلى قول الله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١

نعم ذلك هو الفوز العظيم ، ومن أجله هانت النفس ، يقول الرجل للنبي ﷺ فى ساحة القتال : أليس بيني وبين الجنة سوى أن أقتل هؤلاء ، حتى يقتلوني !

فقال :بخ بخ ، وألقى ما فى فمه من تمرات ، ونزل ساحة القتال ، وقاتل حتى قتل ، فكان فى جنات وعيون

يقول الله – عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

ويقول جل وعلا : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ البقرة: ١٥٤

وقد قالت الربيع بنت النضر – رضى الله عنها – للنبي ﷺ : أنت تعلم مكانة سراقة عندي ،وكان سراقة بن حارثة ولدها ، واستشهد يوم بدر ، قالت : فأخبرني يا رسول الله ، إن كان فى الجنة ؛ أصبر وأحتسب ، وإن لم يكن فى الجنة أريتك ماذا أفعل ؟

فقال لها ﷺ : إنه ليس فى جنة واحدة ، وإنما هى جنات ، وإن ابنك منها ، لقي الفردوس الأعلى ؛ فصبرت ، واحتسبت ، فكما رأينا أنّ الأعمال التى تؤدي إلى الجنة ، أو إن شئت فقل : إنّ بذل الشاق من أجل الجنة أمر يهون ، وكذلك فقد الحبيب الغالى يهون عند أهله و أحبابه إذا علموا أنه فى الجنة ؛ فذلك يهون عليهم وداعه ، ووداع الأحبة صعب على النفوس التي سكنتها ، والقلوب التي عاشت على نبض حياتها ، لكن من أجل مصلحة هذا الفقيد ، حيث إنه فى أكل دائم وظل ، ونعيم مقيم .

هل الصحيح أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

وقد ورد من حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، ولكن ليس كما يفهم كثير من الناس من أنّ المؤمن مكتوب عليه أن يعيش الدنيا كداً وشقاء وكمداً ، وأنه لا متعة له فيها ، ولا مال ، ولا سعة ، فذلك كله لغيره ؛ لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر

وقد ذكر المناوي – رحمه الله – فى فيض القدير : صحة معناه من خلال ما روي عن ابن حجر – رحمه الله – حيث ولى القضاء ، وانطلق فى موكبه وزينته ، ومرّ بالسوق ، وكان يهودي يعمل بالزيت الحار

فلما شاهده اليهودي خرج عليه وهيئته على ما يبدو من مثله رثة كئيبة ، ورائحته كريهة ؛ فقال لابن حجر : أنا على ما تري ، وأنا يهودي

وأنت على ما تري ويري الناس ، وأنت مسلم ، فأين جنتي ، وأين سجنك ، أليس يزعم رسولكم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ؛ فابتسم ابن حجر ، وقال له :

أنا مع ما أنا فيه مما ترى إذا أدخلني الله الجنة شعرت بأني كنت فى سجن ، وأنت مع ما أنت فيه من بؤس وشقاء إذا أدخلك الله النار شعرت بأنك كنت فى جنة

أي أن نعيم الله عز وجل – عظيم فى الجنة ، فمن دخلها من المؤمنين شعر بأنه كما روي – لم يَر نعيماً قط فى الدنيا

وأن عذاب الله – تعالى – شديد لمن استحق النار ؛ فمن دخلها من الكفار ، والمنافقين ، والفاسدين شعر بأنه لم ير عذاباً قط ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ الفجر: ١٧ - ٣٠

وقد قال ابن عباس – رضى الله عنهما – ليس فى نعيم الدنيا من الجنة إلا الأسماء

أي أنك إذا تناولت كوب ماء ، فلا تزعم أنه مثل ماء الجنة ، فالقاسم المشترك بينهما هو الاسم فقط ، وكذلك اللبن ، والفاكهة ،و العسل ، والخمر شيء مختلف ، يقول الله – عز وجل فى آية محمد : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ محمد: ١٥

وليس هذا الاختلاف بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مرجعه إلى عدم تغير صنوف النعيم فى الجنة فحسب ، وإنما مرجعه إلى شيء آخر جوهري ، وهو نزع الحقد من صدور أهل الجنة ، قال الله – عز وجل –: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ ، والحقد سواد فى الصدور ، يكدر على الناس كل استمتاع بنعيم ؛ من أجل ذلك نزعه الله – عز وجل – من صدور أهل الجنة ، ولو كان فى صدورهم شيء من حقد لما استمتعوا بشيء من نعيمها

انظر إلى منْ كان بصدره شيء من حقد وسواد ، تجده فى قلب النعيم كأنه يعيش فى بؤس وشقاء وجحيم ، وقد كان الفلاحون يقولون فى ذلك : ((فلان يأكل والأكل يأكل فيه)) أي لا يبدو عليه أثر الطعام من صحته ، فى بدنه ، واستقرار فى عيشه ، وراحة بال فى صدره ، إنه يغلى كما يغلى الزيت فى المرجل ؛ لأن الحاقد كلما رأى نعمة عند أحد غاظه ذلك ، وأشعل فى صدره النار ، ولن تنطفئ تلك النار إلا بماء الرضا الذى يسكبه الإيمان والتسليم فيه ؛ بأن الله – تعالى – واهب النعم، ومقسم الأرزاق ،وأنه- عز وجل – الحكيم الذى يضع الشيء موضعه ، بعدل منه ، فإن رأيت ما ظاهره عكس ذلك فابحث عن الحكمة تجدها ، فإن لم تجدها فذلك إما لقصور عقلك ، وعدم تدبرك آيات ربك ، وإما أن الله – تعالى – أخفاها ، وعليك أنْ تزداد إيماناً ، وتسلم تسليماً

ومن الحكمة التى بينها ربنا – تعالى – ما ورد من آيات سورة الفجر ، حيث يقول الله – تعالى –: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ الفجر: ١٥ - ١٧

فقد قال الله – تعالى – فى الحالتين :((ابتلاه))

أي أن الإكرام والتنعيم اختبار ، والتقدير فى الرزق كذلك ، فعلى مَنْ أراد أن ينجح فى هذا الاختبار أنْ يعلم أنّ الله – عز وجل – إذا ابتلاه بوفرة الرزق كان عليه أنْ يشكر ، وإنْ ابتلاه بالأخرى كان عليه أنْ يصبر

وقد قال ربنا – عز وجل – : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧

لكن من الناس مَنْ يجد الموسع عليه فى الرزق ، قد بلغ عنان السماء فى الحظ ، وأنه لا حظ له ، وهو بذلك لن يرى نفسه أبداً ذا حظ ؛ لأن الحقد كما قلت سواد ، وسواد القلب أقوى وأشد خطراً من سواد العينين ، ومن لم يكن فى عينيه نور لم ير معالم الطريق ، وإن كانت واضحة وضوح الشمس فى الضحى

ومن كان السواد فى قلبه ((بسبب الحقد)) لم ير نعمة عنده ، وإن كان يرفل فى زينتها ليل نهار

فإن ذكَّره أحد ببعض هذه النعم أنكرها ، أو استخف بها ، واستقالها (أي قال : هى قليلة) لأنه زاهد فيها طامع فيما عند غيره ، فيطول شقاؤه ،

وقد سمعت حواراً بين رجلين كان أحدهما يركب سيارة جديدة ، عظيمة ، غالية ، مجهزة بأحدث ما وصل إليه العلم فى ذلك ، وكان الآخر يركب سيارة قديمة بالية ، لاشىء فيها مما فى الأولى التى كان يركبها صاحبه ؛ فقال الأول للثاني: الله .. الله على سيارتك

فقال الثاني : لا تسخر منى ، فأنا رجل على (قد حالى) ، والحمد لله ، إنها تعينني على قضاء حاجتي ، ومصالحي ، ثم أين هى من سيارتك ؛ فقال له :

- سيارتي ، لا يغرنك شكلها ، فو الله إن سيارتك أفضل منها ، (أتبادلني)

وهذا الحوار وإن بدا من قبيل المزاح ، إلا أنه كاشف عن تلك الحقيقة ، ترى صاحب هذه السيارة عيناه على سيارة غيره المتواضعة ، وتجد زوج المرأة الحسناء ، المثقفة عيناه على زوجة البواب ، يقول لصاحبه : انظر إلى تلك المرأة الجميلة العفيفة الفتية ، تصحو مع الفجر ، وتنظف سيارات السكان ، وزوجها نائم ، تعينه على معيشته ، مع أنه يضربها ، ويقسو عليها ، ويعاملها أسوأ معاملة ، إنّ حظه أوفى من حظنا ، حيث إننا ابتلينا بتلك النائمة حتى العصر ، والتي تحسن إليها ، وتنفق الكثير ، ولا تعطيك شيئاً ، ولا تعينك على شىء ! إنه الحقد الذى يزدري المرء بسببه كل نعمة ، ويرى غيره أفضل منه ، فلا يهنأ بشىء ، حتى فى العلم ، الذى هو نور ، وضياء ، وسعادة فى الدارين ، ترى حامل الشهادة العليا ينظر إلى الأمي الذى لا يحسن القراءة ، ولا الكتابة يقول : هذا أفضل مني ، وعيشه خير مِنْ عيشي ، و يا ليتني ما تعلمت ، أو ينظر إلى أُمّي أيضاً صاحب عقارات وسيارات ، ويقول : انظر

إلى حظ هذا ، وإلى حظي ، إنه عاجز لم يتعب ، ولم يشق ، وحصل من الدنيا ما أنا عاجز عن تحصيل بعضه ، بعد أن نذرت عمري للعلم والبحث والتنقيب ، والسفر ، والتحصيل ،إن مثلى يسكن ، أو يود أن يسكن عنده فى عمارة من عماراته ، ويقبل يديه غير النظيفتين ، مع أنّ هذا الأُمّي الذى لم يره قد بذل جهداً فى حياته التي حصل منها الكثير ، قد بذل كل جهد ، وسافر واغترب وصبر ، وحمل الصخور ، والرمال على ظهره ، وجاهد وأحسن ،

فأين هذا من قول سليمان – عليه السلام – ، وقد قال الله – عز وجل –:

﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النمل: ١٦

وقد قال الله – عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء: ١١٣

وللعلم شرف لا ينكره إلا جاهل حاقد ، فكيف ينكره من أنعم الله به عليه ، وفضله على غيره ، حتى من العابدين الصالحين ؛ لمجلس علم خير من عبادة ستين سنة ، كما جاء فى الحديث الشريف ، وفضل العالم كفضل الهلال على سائر النجوم ، وقد نزل أول ما نزل من الذكر الحكيم قول رب العالمين :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق: ١ – ٥

لكنه السواد الذى يعمي الصدور ، فلا ترى إلا ضآلة لكل عظيم ، ولا تبصر إلا قلة عندها ، وكثرة عند الناس !

الرضا

والرضا من أهم أسنان مفتاح الجنة ، بدليل أنّ الله – عز وجل – يقول فى أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ البينة: ٧ – ٨

وفى الرضا مباحث مهمة ، يحسن بالمسلم أنْ يطلع عليها لأنّ الخطر الذى يواجه الفرد والأمة أنْ يفهم الناس معنى الرضا وهو على غير صواب ، أنْ يقول : رضيت مثلاً ، وهو قادر على بذل المزيد من الجهد ، حتى يحصل الخير لنفسه ولأسرته ، ولأمته ، فما معنى أنْ تقول : رضيت بعشرة ، وفى وسعك أن تعمل كي تحصل على ألف

فماذا تفهم من قول الله – عز وجل – فى الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون: ١٠ – ١١

حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ المؤمنون: ٤

أي يفعلون من أجل أنْ يكونوا من المزكين ، ولو لم يفعلوا لما بلغ مالهم النصاب ، وما كان عليهم من زكاة ، إنهم بلا شك يعملون ، ويتواصلون عاملين محققين مزيداً من الربح الحلال ، حتى يبلغ مالهم النصاب ، ويخرجوا بهذا البلوغ الزكاة ، وكم فى الناس من مُتَمَنٍّ لزيارة البيت الحرام ، وذلك عن

طريق الحج الذى هو ركن الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً ، أو عن طريق العمرة

ويظل عمره متمنياً ، يمتص – كما يقولون – الليمون ، وربما تبكي عيناه ترجمة لشعوره ، وفيضان وجدانه شوقاً وتحناناً إلى البيت العتيق ، وكلما شاهد صورته على شاشات التلفاز قال ((اوعدنا يا رب))

صحيح أنه فقير ، ولكنه قادر على أن يكون غنياً ، فليس سقيما عليلاً ، أو فاسد الأعضاء ، أو ضعيف العقل ، إنه يعمل ساعة وينام عشر ساعات ، ويلعب ساعات ، وبوسعه أن يعمل المزيد

ألا ترى إلى قول النبي ﷺ على كل مسلم صدقة ؛ فلما قيل له : فإن لم يجد ؟

قال ﷺ : يعمل ؛ فينفع نفسه ، ويتصدق

وبقوله ﷺ أقول ، أي أقول : يعمل ، فينفع نفسه ، ويحقق شوقه ، فيحج ، ويعتمر

وقد نسب ابن عبد البر – رحمه الله – إلى الإمام الشافعي – عليه رحمة الله – أنه قال : لا يستحق من الزكاة مَنْ كان سليم الأصابع ،

وربما كان سليم الأصابع ، ودخله لا يكفيه ؛ فيستحق من الزكاة ما يكفيه

قال الله – تعالى – : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ الكهف: ٧٩

فقال- عز وجل – فى ملاك السفينة : مساكين وهم بلا شك يعملون فيها ، وأصابعهم سليمة ، ومن هذه الآية الكريمة عرّف العلماء المسكين بأنه الذى عنده ما لا يكفيه ، بخلاف الفقير

وقد تكون هذه العبارة من باب الحث على العمل ، والكسب الحلال ، والبعد عن المسألة ؛ فقد قال النبي ﷺ : ((اليد العليا خير من اليد السفلى))

واليد العليا هى المعطية ، أي أن الذى يعطي خير من الذى يأخذ

والإسلام يدعو إلى أن يكون المسلم مرفوع الرأس ، عالى الجبين ، لا يمد يده – إلا عن ضرورة ، وقد قال فى ذلك رسول الله ﷺ: لأنْ يأخذ أحدكم حبله على عاتقه ، ويحتطب ، خير من أنْ يسأل الناس أعطوه أو منعوه

وقد قال ﷺ : إنّ المسألة لا تصلح إلا لذي فقر متقع (شديد) ،أو لذي غرم (دين) مفظع (كبير) ، أو لذي دم موجع (دية شديدة)

وإذا كان على كل مسلم صدقة ، وكان عليه أن يعمل من أجل أن يصون كرامته ، وماء وجهه ، كان عليه كذلك أن يحقق رجاءه المشروع متى وجد إلى ذلك سبيلاً ، فمن بات كالًّا من عمله بات مغفوراً له ، كما جاء فى الحديث الصحيح

وساعة يبذل أقْصى ما لديه من طاقة ولا يجد فى بدنه بقية لبذل جهد ، عندئذ يقول : رضيت ، ويكون رضاه معتبراً شرعاً ، ومحترماً ، لأن كل شيء معتبر فى الشرع يجب أن يكون محترماً عند أتباع هذا الشرع الذى ارتضوا به ديناً .

وهناك من الرضا ذلك الرضا غير المعتبر شرعاً ، وهو أن يرضى المسلم بما يخالف دينه ، وعلى سبيل المثال نجد الزواج فى دين الله الإسلام من أركانه الإيجاب والقبول ، أي : الرضا المتبادل بين الراغبين فى الزواج (الرجل والمرأة)

فإذا رضى رجل وامرأة ، وتزوجا دون ولى وشاهدي عدل ، وعاشا معاً وتعاشرا معاشرة الأزواج ، فهل يعد ذلك الرضا رضاً معتبراً شرعاً ؟

والجواب : لا ، ليس هذا من باب الرضا المعتبر شرعاً

إنما يكون الرضا معتبراً شرعاً ، ويكون من أهم أسنان مفتاح الجنة إذا كان وفق ضوابط الشرع ، وما خالف ضوابط الشرع فليس من الرضا المعتبر ، الذى هو من أسنان المفتاح العزيز

لقد صَلّى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وقلبه معلق ببيت الله الحرام ؛ فأرضاه الله – عز وجل – ، وولّى وجهه والمسلمين معه إلى يوم القيامة ، إلى بيت الله الحرام قال الله – تعالى – : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ البقرة: ١٤٤

والنفس تميل إلى الكثير بفطرتها ، لكن نفس المؤمن الراغب فى الجنة لا تميل رغم الرضا – إلى هذا الكثير إذا كان حراماً ، وتميل إلى القليل إذا كان حلالاً ، مع سعيها فى استثمار ذلك القليل وتنميته حتى يكون كثيراً ، قال الله –تعالى – : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المائدة: ١٠٠

وفى ذات السياق يقول الله – عز وجل – : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢٢١

انظر إلى هذا التعبير المعجز الجليل ، حيث يقول الله – تعالى – : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢١ ، ويقول تبارك اسمه : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢١

حيث إنّ هناك مَنْ ترضاه لشكله الجميل ، وهيئته التي تسر العين ، وينشرح لها الصدر ، وسرعان ما تصرف عنه النظر ، وتؤثر عليه مَنْ هو دونه بكثير لسبب آخر ، مرجعه إلى الإيمان ، فالإيمان يصنع الرضا ؛ ألا ترى إلى قول الله – ربنا : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ التوبة: ٩٦

أي أن المنافقين يحلفون للمؤمنين من أجل أن يرضوا عنهم ، قال الله – عز وجل – : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ التوبة: ٩٦

وهل يرضى المؤمن ما لا يرضى الله ربه الذى رضى به رباً !

لاشك أنه لن يرضيه إلا ما يرضى ربه ، ولا يغضبه إلا ما يغضبه

أسلم أخ فى المدينة المنورة ((حميصة)) قبل أخيه ((حويصة)) وكان الذى أسلم هو الأصغر ، فلما خان اليهود العهد مع رسول الله ﷺ ، قال : مَنْ لقي منكم يهوديا فليقتله ، فعاد حميصة من عند رسول الله ﷺ فوجد يهودياً عند أخيه ،كان يتعامل معه ؛ فقتله

فقال له أخوه : أتقتله وأنت تعيش فى خيره !

فقال : لقد أمرني بقتله مَنْ لو أمرني بقتلك لقتلتك ؛ فقال له أخوه :

- أحقاً لو أمرك محمد ﷺ بقتلى قتلتني !
- قال : نعم
- قال : أشهد أنه رسول الله ، وأسلم أخوه ؛ لأنه كان يعلم أن أخاه هيهات هيهات أن يقتله إلا إذا كان آمره بقتله نبياً حقا!

وهكذا نجد الرضا والامتثال لأمر الله – تعالى – ورسوله ﷺ سبباً فى خير كثير ؛فلو علم الناس أن فلاناً الموظف لا يمكن أنْ يرضى بالرشوة مثلاً فسوف ييأسون منه ويسلكون سبيلاً آخر

لقد حاول إخوة يوسف أنْ يأخذ أحدهم مكان أخيهم ، وقالوا له :

﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيۡخًا كَبِيرًا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

فقال : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾

قال الله عز – وجل – : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ يوسف: ٨٠

لابد أن يستيأس أهل الهوى من أهل الإيمان حين يتجهون إليهم طامعين فى انحرافهم عن الحق ، فيجدونهم متمسكين بالحق .

وليكن ما يكون ، وأمام المسلم إحدى الحسنيين : إما النصر ، وإما الشهادة

انظر إلى هذا الفتي (محمد) ابن الشفاء –رضى الله عنه وعنها – ، حيث وقف أمام مسيلمة الكذاب ؛ فقال له :

أتشهد أن محمداً رسول الله ؟

فقال : أشهد

فقال : وأتشهد أني رسول الله ؟

فقال : لا أسمع

فقطع ذراعه ، وأعاد عليه السؤال ، فقال مثلما قال أوّلُ ؛ حتى لقي الله شهيداً

وكان الكفار يحبون أن يسمعوا كلمة من خبيب بن عدي – رضى الله عنه – قبل أن يصلبوه ، وذلك حين قالوا له :

أتحب أنّ محمداً مكانك ؟

فقال : والله لا أحب أن تصيبه شوكة وأنا آمن فى أهلى

فقال أبو سفيان : ((ما رأيت أحداً أحب أحداً كما أحب أصحاب محمد محمداً))

وقد صدق ، وعلينا أن نستعيد تلك الكلمة ونحن على يقين من مقتضاها ، بأن يكون فى حياتنا شىء عزيز غالٍ ، لا نفرط فيه أبداً ، وهل هناك شىء أعز علينا من ديننا ،وأماناتنا ، وعهدنا ، قال الله – عز وجل – :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنفال: ٢٧

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤

وقد شاع الفساد بين الناس بسبب علمهم أنّ الناس يهون عليهم كل شىء بسبب المال ، يقولون : تستطيع أنْ تشتري كل شىء بالمال ،

مَنْ كان عنده مال ؛ فلا يضرب على ظهره ولا على جنبه

تشتري ذمة الناس بالمال ، وتشتري – مع الأسف – أعراضهم بالمال ، وتشتري الشهادات العلمية بالمال ، يقول بعض الطلاب الأشقياء : إننا إذا علمنا شدة فى أستاذ سقنا إليه زميلة حسناء ، تشغله بوهم الحب ، حتى يقع فى حبها ، وشراكها ، فيعطيها أسئلة الامتحان ، أو يذكر لها المهم من كتابه ، وموضوعاته ، فتنقله إلينا ، وكذلك يفعل أشقياء كثيرون ، إذا كان للأستاذ حاجة أو مصلحة ما ، وفى وسع أحدهم أن يقضيها له عن طريق أبيه ، أو أخيه إذا كان أحدهما موظفاً كبيراً ، هذه مفاسد ؛ سببها أن هناك ذمة تُشترى بقضاء مصلحة ، وغيرها

فأين من هؤلاء قول النبي ﷺ : ((لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))

لا شك أنّه يسفر عن التزام بشرع الله ، لا يقف أمام الهوى ؛ ولا تشفع عنده الكرامة ، والمحسوبيات ، وهذا من الاستقامة بمكان ، فما ضيع الدين من صدورنا ، والدنيا من أيدينا إلا اتباع الهوى ، والمجاملات ، والمحسوبيات ، وغيرها ، ولن تستقيم حياتنا التى يكون فيها الدين عصمة أمرنا إلا إذا كان فى حياتنا ما لا يهون ، وإذا كان شوقي عليه رحمة الله يقول :

قد يهونُ العمرُ إلا ساعةً

وتهونُ الأرضُ إلا موضعا

فإننا نقول : كل شيء يهون إلا ديننا

والدين يأمر بعزم الأمور ، وبعزم الأمور تستقيم حياة الناس ، ولن تستقيم حياة الناس إلا إذا كان رضاهم وفق ما جاء به الكتاب العزيز ، والسنة النبوية المطهرة

فإذا كان الرضا على غير هداها فهو رضا غير معتبر شرعاً

ومن الرضا المعتبر شرعاً :الرضا بقضاء الله – تعالى – وقدره ، وهو من شرط الإيمان بالله – عز وجل – ورسوله ﷺ غاية ما أقوله فيه أن يكون الأمر محل الرضا بالفعل من الرضا بقضاء الله وقدره ، لا بسبب غباء الإنسان وجهله ، حيث يلصق بالقضاء والقدر ما ليس منهما

فأنت حين تسلم سيارتك لولدك الحدث أو السفيه ، وأنت تعلم أنه لا يحسن القيادة ، ثم تراه صريعاً ، فلا تلومَنّ إلا نفسك ؛ فقد ظلمت

وأنت حين تسرف فى الإنفاق ، فتبسطها كل البسط ، وتقعد ملوماً محسوراً كما قال الله –عز وجل – : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الإسراء: ٢٩

ثم تقول : هذا قضاء وقدر فأنت مخطئ ، إذا جاوزت عظة ربك – تعالى – وخالفت منهجه فى الإنفاق ، فلا تلومَنّ إلا نفسك

والدليل على أنّ هذا وغيره من الأمور التى لا صلة لها بالقضاء والقدر قول الله – تعالى – : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٥

وما دام الله – عز وجل – قد قال : ﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ آل عمران: ١٦٥

فلا ينبغي أن نلصق بالقضاء والقدر ما هو من عند أنفسنا

انظر إلى القضاء والقدر فى صورتك التى خلقك الله عليها وصوّرك ،

قال الله عز وجل – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ الانفطار: ٦ - ٨

وارض بتلك الصورة ؛ فأنت لم تخلق نفسك ، وارض بما رزقك الله من بنين ، أو بنات ، أو بنين وبنات ، قال الله – عز وجل – : ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٩ – ٥٠

ولا تكن كالذين دفنوا البنت قائلين إن برها – وهى عذراء – صُرَاخ ، وبرها – وهى متزوجة – سرقة ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ ﴾ التكوير: ٨ – ٩

وارض بما قسم الله لك إنْ كنت عليلاً ، وقد أخذت بالأسباب ، ولم تجد علاجاً ، أو كان العلاج فوق طاقتك

وارض بما فى رحم زوجك من طفل قال الأطباء : إنه سوف يولد مشوهاً ، فتسارع فى إجهاضه ، بل ارض به ، وأحسن استقباله ، واحصل على ثواب صبرك عليه ؛ لقول الله – تعالى – : ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ الحج: ٥

وارض بما قسم الله – تعالى – لك من رزق بعد أن تبذل كل طاقتك فى تحصيله ، وارض بما شرع الله لك من إخراج زكاته ؛ فأخرج زكاة مالك ، ولا تمسك ، فإنّ إمساك الزكاة حرام ، والمال الحرام حين يخالط الحلال يهلكه

وارض بما لا يَدّ لك فيه ، فهذا قضاء الله ، وقدره ، وأنت تقول : ((عدل فينا حكمك ماض فينا قضاؤك))

واستعن بالله فى علاج ما تستطيع علاجه ؛ فإنّ بعض الناس يستسلم لما هو كائن ، ويظن أنّ هذا الاستسلام ضرب من ضروب الرضا ، وليس معني الرضا بالقضاء والقدر : أنْ تبقي المرأة نفسها مع رجل سيء ، يسيء عشرتها ، ويبخل عليها ، ولا يعاشر ، ظانة بذلك أنه سبيلها إلى الجنة ، والعكس ، فلماذا

شرع الله الطلاق ، وهذا يدل على أن الزواج اختيار ، وليس كما يتوهم كثير من الناس من القسمة والنصيب .

وللرضا بلا شك آيات تدل عليه ، وأول آيات الرضا ؛ التسليم ؛ ألا ترى قول الله – عز وجل – : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

والمرء إذا سلم تسليماً بهذا النسق والتعبير الشامل الدال بذكر المفعول المطلق ، يدل على التوكيد كما فى قول الله ربنا : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤ ، أي لا شك فيه ، ولا انحراف إلى مجاز ، أو إشارة ، وكذلك التسليم ، إنما هو التسليم الحقيقي الذى تتجلى آيته فى نسيان متنازع عليه ، وفى فتح صفحة جديدة جميلة ، فترى الراضي بَاسِم الوجه ، غير نافخ ، ولا شاعر بأي شيء من استياء ، وكيف يشعر بذلك وقد رضى

والرضا سبيل إلى عطاء الله – عز وجل – فى الدنيا قبل عطائه فى الآخرة ، قال الله – عز وجل – : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ الضحى: ٥

على معنى أنْ ((فَتَرْضَىٰ)) خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره فأنت ترضى

يدلك عليه قول الله – عز وجل – فى آيات سورة التوبة : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ

﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ التوبة: ٥٨ – ٥٩

فمن رضى بما آتاه الله – تعالى – أغناه الله – عز وجل – ومن سخط ، فلم يرض فقد أذل نفسه ، وأفسد عاطفته ، ولن يصلح سخطه شيئاً ، ولن ينفعه بشيء ، ولن يغير من شيء لا يرغب فيه ؛ فإن قضاء الله – تعالى – ماض لا محالة ، كما قال الناس : لكن ساحة الصبر أوسع ، أي أن المرء العاقل الحكيم عندما يصاب بشيء يكون أمامه طريقان :

١ – طريق الضجر

٢ – وطريق الصبر

وهو يرى أن ساحة الصبر أوسع ، أي أن ساحة الضجر ضيقة ، واللبيب لا يؤثر ضيقاً على واسع ، وإنما يؤثر الواسع على الضيق ؛ فهذا من حسن تصرفه ، وسلامة رأيه ، واستقامة منهجه ، ألا ترى إلى قول الله – تعالى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ المجادلة: ١١

وقول النبي ﷺ : ((عليكم بالجادة ، واحذروا البُنَيَّات))

والجادة : الطريق المستقيم الواضح ، والبنيات : الطرق الضيقة الملتوية ، التي تكون فى الغالب على جوانب الطريق المستقيم ، ولأن الرضا هو الجادة ، والغضب هو البنيات ، والرضا أساس عند أهل الجنة ، والغضب اعتراض ،

والاعتراض بمثابة الحالة ، أما الرضا فهو الحياة ، من أجل ذلك قال الله – تعالى – فى آية سورة الشورى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشورى: ٣٧

أي أن حالة الغضب إذا اعترضت الصالحين الراغبين فى الجنة عادوا سيرتهم ، والتزموا منهجهم بأن غفروا ؛ لأن الغضب فى حياتهم بمثابة الشيء العارض ، الذى يعتري الإنسان السوي ، ولا يكون أصحاب الجنة إلا أسوياء !

وقد قال العباس بن عبد المطلب – رضى الله عنه – لرجل كان شديداً على بعض الذين كانوا فى طريقهم إلى لقاء النبي ﷺ وكان ﷺ أبى لقاءه به ؛ لما كان منه من عظيم القبح ، فشكاه ذلك الرجل إلى العباس ؛ فذهب إليه العباس – رضى الله عنه – وقال له معلماً إياه :أنه ما ينبغي له أن يكون شديداً إلى هذه الدرجة متعللاً بغضب رسول الله ﷺ عليه ؛ فقال له هذه العبارة المشرقة ، حيث قال له : ((ارفق به)) وإذا كان رسول الله ﷺ قد غضب فسوف يرضى))

وأرى أننا فى حاجة إلى استعادة تلك العبارة ، والإفادة منها ، بأن خلق رسول الله ﷺ أنه إنْ غضب فسوف يرضى

وكم فى المسلمين من أناس ذكرانا وإناثاً إذا غضبوا فلا أراك الله مثل سلوكهم عند الغضب ،وتكاد تقسم بالله – عز وجل – بأن الواحد منهم لن يرضى أبداً

، كما قال الله – سبحانه وتعالى – فى طائفة من الناس – : ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ الأنعام: ٢٥

وهؤلاء إن جئتهم بلبن العصفور فلن يرضوا ، وإن اعتذرت لهم بكل عذر ، ووفرت لهم كل وسيلة لإرضائهم فلا جدوى ، ولا فائدة ، فسعيك عندهم ، وسعي غيرك غير مشكور ، ألا ترى إلى قول الواحد منهم ، وقد سعيت إليه شفيعاً فى الرضا عند فلان ، الذى قد يكون ابنا من أبنائهم ، أو بنتاً من بناتهم ، أو جاراً ، أو أخا ، أو زميلاً ، أو عاملاً بسيطا ، قال لك بعد أن بذلت معه كل جهد ، وخاطبته بكل آيات الرجاء والطمع والعشم ، وقد أبى ، ألا ترى إلى قوله لك وهو يودعك فاشلاً فى مهمتك ، غير ناجح فى سعيك : إن مجيئك على العين والرأس ، وأنك لو طلبت منه أن يذبح ولداً من ولده ، أو يفعل أي شيء لأرضاك ، لكنه لا يقدر على أن يغفر لفلان ذلك ذلته ، ولا أن يسامحه ، ويعتذر إليك ، ويعود نافخاً ، قائلاً : ما كان له أن يأتيني ، ولا أن يشفع لمثل هذا الآدمي ، الذى فعل كذا وكذا .

وتصور تعبيره متأملاً معناه ، وابحث فيما وراءه وفيما أمامه ، وفى مقتضاه ، أنه يقول لك لو سعيت إليه فى ذبح ولد من أولاده ، فلن يخزيك ؛ فذلك أهون عنده مِنْ أن يغفر لإنسان ضعيف ، من آيات ضعفه أنه أرسلك شفيعاً له ، يرجو العفو والصفح ، ولعلك تسأل : ما الذى فعله ذلك الإنسان ، وما عسى

أن تكون هذه الإساءة البالغة التي وصلت إلى حد الطريق المسدود ، والذى يؤثر ذلك الرجل ولده ، وفلذة كبده على غفرانها !

وفى النهاية ، وبمنتهى الموضوعية سوف تجد أنها إساءة يسيرة ، فإن بحثت عن سبب إصراره على عدم الغفران فلن تجد سوى الطبع الفاسد ، والخلق السيء

إنه الإصرار على الموقف السيء ، الذى هو عدم الغفران

وقد يكون الراغب فى عدم الغفران كما تعلم زوجته ، التى أشارت إليه بأصغر أصابعها بأنْ : لا ، أي : لا تغفر ، أو لا تصالح ، كما قال فاروق جويدة فى قصيدة لياسر عرفات ، مع الفارق ؛ فإن للشاعر وجهاً هو أن الرئيس الفلسطيني عليه ألا يصالح صهاينة دنسوا المقدسات ، واحتلوا الأراضي ، ولا عهد لهم ولا ميثاق ، لكن ما عسى أن يقال للمسلم فى أخيه المسلم ، وقد جاءه معتذراً راجياً عفوه ، وهو يتلو قول الله – تعالى – : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يوسف: ٩١

هذا قول إخوة يوسف – عليه وعليهم السلام ، فما كان جوابه إلا أن قال لإخوانه : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف: ٩٢

ويعلم قول النبي ﷺ وقد قال لأهل مكة الذين آذوه وكذبوه وأخرجوه : ما تظنون أني فاعل بكم اليوم ؟ فلما قالوا له : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ؛ قال لهم ﷺ : اذهبوا فأنتم الطلقاء

ويقينا ما بلغ بهذا الرجل الأبي للغفران مثل الذى بلغ بيوسف – عليه السلام – من إخوته ، وما بلغ بخاتم رسل الله ﷺ من قومه ، وقد قال تعالى :

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢

الفصل الثالث

اللهم إني أسألك الجنة
وما قرب إليها من قول أوعمل

جاء الرجل الذى ظنه معاذ – رضى الله عنه – منافقاً لما ترك الجماعة ، وصلى وحده ؛ لأن معاذاً –رضى الله عنه – بدأ بعد الفاتحة بسورة البقرة ، جاء الرجل يستوضح من رسول الله ﷺ إن كان منافقاً حقا ، أو مؤمناً ، وكان أن استدعى معاذاً – وأمره بالتخفيف

وقال ﷺ : من أمّ بالناس فليخفف ؛ فإن منهم المريض والمسافر وذا الحاجة ، ثم قال للرجل: ما تحفظ من القرآن الكريم ؟

فقال الرجل : لا أحسن دَنْدنتك ولا دَنْدَنَة معاذ ، ولكني أسأل الله الجنة ؛ فقال ﷺ : " وحولها نُدَنْدِن " .

أي أنّ الجنة مطلبنا جميعاً ، ومن دعاء المسلمين :

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل

وما أكثر الأعمال التى تؤدي إلى الجنة ، وهى بلا شك أسنان ذلك المفتاح ، الذى يود إصلاحه كل مسلم ، وأهم تلك الأعمال التي نستخرجها من الكتاب العزيز ما يأتي

١ـ إطعام الطعام

قال- الله عز وجل- : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ الإنسان: ٨ ـ ١٢

وروى مسلم فى صحيحه أن سول الله ﷺ سئل عن خير ما فى الإسلام ؛ فقال ﷺ : " إطعام الطعام وإفشاء السلام " .

وإطعام الطعام من إفشاء السلام ، فليس من إفشاء السلام أن تقول لأخيك : السلام عليكم ورحمة الله فى الغدو والآصال ، وأنت تعلم أنه جائع ، وبوسعك أن تطعمه ، وتسد جوعته ، وترحم ضعفه ؛ فمن أين يأتيه السلام مع الجوع ، ومن أين يأتيه السلام مع الظمأ !

ومن أين يأتيه وهو عريان ، أو وهو خائف

وغير ذلك من الأمور التى لا يتحقق معها السلام ، إنما يتحقق معها الرعب والفزع ، وعدم الإحساس بالوجود ، وقد ذكر ابن حجر – رحمه الله – أنّ إفشاء السلام معناه : أنْ تعامل الناس بمكارم الأخلاق ، أي ليس معناه فقط : أنْ تقول فى الذهاب والإياب : السلام عليكم ورحمة الله

٢ ـ ومن الأعمال التى تقرب عاملها من الجنة :

(أ) الإنفاق فى السراء والضراء

(ب) وكظم الغيظ

(جـ) والعفو عن الناس

(د) والإحسان

(هـ) والاستغفار من الذنوب

قال الله – عز وجل – : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦

والإنفاق فى السراء يفعله مَنْ سلم عقله ، وصدره ، وكان على سوية من أمره ؛ لأنه يتناسب مع حال المنفق الذى وسع الله عليه ، إنما البحث والتوقف عند الإنفاق فى الضراء ؛ حيث إنه لا يتأتى إلا من صاحب يقين عظيم بأن فرج الله

قريب ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ الإسراء: ٢٨

أي إذا جاءك أصحاب الحقوق عليك ، وسألوك وأنت فى حال رجاء لرحمة ربك ، أي كنت معسراً ؛ فقل لهم قولاً ميسوراً ، أي كلاماً لينا، مَثَّل له المفسرون بقول الموفق إلى ذلك : بقريب فرج الله – وقوله : سوف يأتي الخير إن شاء الله ، وأرسل إليكم

وقد قال ابن لأبيه الذى لم يخلف عادته من الإنفاق رغم إعساره :

يا أبت ، إنك معذور ؛ فلا حرج عليك ؛ فقال له : يا ولدي ، إننى أخشى أن أخلف عادتي مع الله – تعالى – فيخلف عادته معي ويقصد بعادة الله معه ما يمن عليه به من واسع نعمه ظاهرةً ، وباطنةً ، من نور عينيه ، واستقامة أعضائه ، وسلامة بدنه ، وأولاده ، وغير ذلك

ولعلنا نتوقف عند قول ذلك الرجل ((عادتي)) فمن تعود شيئاً أدمنه ، ونعمت العادة ، تلك العادة التي ترضى الله – عز وجل – وتقرب من جنته ، التي أعد الله فيها لعباده الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

وكظم الغيظ قدرة نفسية لا تتأتى إلا مَنْ كانت نفسه تواقة إلى جنة الله العالية ، وكان قلبه مشغولاً بها

محباً لرائحتها ، وهو كذلك أمر هين لمن وفقه الله – تعالى – لعمل الصالحات ، والبعد عن الآثام والمنكرات

وكذلك العفو عن الناس ، وقد قال العلماء : إنّ مَنْ دخل من باب العفو فقد دخل من باب الله ؛ لأن الله – عز وجل – يحب العفو ، وقد روى البخاري فى صحيحه من حديث عائشة – رضى الله عنها – أنها سألت رسول الله ﷺ عما تقول إنْ هى صادفت ليلة القدر ؛ فقال لها ﷺ قولى : ((اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني))

فالله – عز وجل – يحب عباده العافين ، الذين يعفو بعضهم عن بعض ، ويسامح بعضهم بعضاً ، ويتجاوز بعضهم عن بعض ، وكذلك الإحسان ، وقد ورد فى الصحيح من حديث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – أنّ الإحسان معناه أنْ تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

ومن عبد الله – تعالى – كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه أحسن كل شىء

ألا ترى أنّ العامل إذا كان يرى الرقيب عليه من الناس ، أو استشعر أنه يراه أحسن ما يعمل ، فما بالك بالله – عز وجل – الشهيد على كل شىء ، وهو على كل شىء شهيد ، وهو الرقيب على كل شىء ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ، ولا فى السماء

ولكي يحسن المسلم كل شىء عليه أولاً أن يحسن إسلامه ، ولن يحسن إسلام المرء مع الشرك ظاهر أو خفى ، بل عليه أنْ يفر من الشرك فراره من الأسد المفترس ؛ لأن الشرك يحبط عظيم العمل ، ألا ترى إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥

وذكر الشكر هنا فى سياق العبادة مهم جداً ؛ حيث إنّ الشكر مرتبط بالنعمة ، بخلاف الحمد ، الذى هو حسن الثناء على الله – عز وجل – الذى هو أهله ، ولا يكون إلا لله – عز وجل – تقول : الشكر لله والشكر لوالدي ، ولكن إلا الحمد لله

ومعني ذلك أنّ عبادة الله – عز وجل – وحده من كبرى النعم ، أي مَنْ وجد نفسه عابداً لله وحده ، لا يشرك به شيئاً ، كان فى نعمة تستحق الشكر ؛ لأن مَنْ عبد الله وحده ؛ فقد استقام ، ومن استقام بُشِّر بالجنة ، ولا خوف عليه ، ولا هو يحزن

وإذا حسن إسلام المرء حسن عمله ؛ لأن الإسلام يدعو أتباعه إلى الإحسان فى كل شىء ؛ إذا صلى أحسن فتوضأ ، وقام إلى الصلاة ممتثلاً خاشعاً ،

وترك ما لا يعنيه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

وقال ﷺ : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

وأحسن كل عمل يعمله ، وأحسن عشرته مع الناس ، ومعاملته حتى مع الحيوان ، والجماد ؛ إذ يوفق دائماً ، والمسلم الذى حسن إسلامه رفيق رفيق ، يقول ﷺ : " لا يكون الرفق فى شيء إلا زانه ، ولا ينتزع من شيء إلا شانه "

وكذلك الاستغفار من الذنوب ، وعدم التمادي فيها والاستمرار عليها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٧ - ١٨

وقد روي فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله – تعالى – أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل فقد دابته وعليها رحله فيه طعامه وشرابه ، حتى إذا استيأس منها نام تحت شجرة كأنما ينتظر الموت ، فاستيقظ فجأة ، فوجدها أمامه وعليها رحله ؛ فقال من شدة فرحه : اللهم أنت عبدي وأنا ربك

وفرح الله – عز وجل – فى مثل هذا الحديث معناه منتهى رضاه ، أي ليس فرحه – سبحانه وتعالى – مثل فرح الناس ؛ فليس كمثله شيء وهو السميع البصير

واختتمت الآيات بوعد الصدق ، حيث قال الله – عز وجل – : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٦

وتأمل قول الله – سبحانه – : ((ونعم أجر العاملين)) لتعلم أنّ ما سبق كان من الأعمال التي تقرب من الجنة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين

وتأمل قوله – تعالى – :((أعدت للمتقين))

لتعلم أنّ المتقين كي يكونوا بحق متقين لابد أن يعملوا فلا تقوى بدون عمل

أي ليس هناك مسلم يقول لك : أنا تقي ، أو أنا من المتقين وهو لا ينفق من ماله شيئاً فى سبيل الله ، ولا يتحرك لنصرة مظلوم ، ولا يدافع عن حمى ودين ، ولا تراه مع المصلين ، هذا من لغو الكلام ، ولا يصدقه أو يطمئن إليه أحد من العقلاء

ألا ترى أن رسول الله ﷺ تورمت قدماه من طول قيامه بالليل ،فلما قيل له : لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ﷺ : أفلا أكون عبداً شكوراً !

٣ـ ومن الأعمال التى تقرب من الجنة

هى بلا شك من أسنان مفتاحها :

الولاية مع العبادة

قال الله – عز وجل – فى آية التوبة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١

فجمع بين الولاية بين المؤمنين والمؤمنات وبين أهم العبادات (إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)، وهذا من طاعة الله –عز وجل – ورسوله ﷺ

ومعنى الولاية : الرعاية والمتابعة والاهتمام ، فولى الطفل (ذكراً أو أنثي) يرعاه ، ويتعهده بتوجيهه ، ويمده بما ينفعه ، ويقيم حياته ، ماديا من طعام وشراب ، وكساء ، وسكنى ، ومعنويا بنصحه وتوجيهه ، وإرشاده ، فهو يأمر بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ، و يشد أزره ، ويأخذ بناصيته نحو ما فيه مصلحته ، التي تندرج بالضرورة تحت المصالح العامة التى تفيد الأمة وتنفع الناس جميعاً ، ألا ترى إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ آل عمران: ١١٠

وكوننا خير أمة أخرجت للناس معناه : أننا ننفع الناس ، ولن ننفع الناس ونحن عاطلون ، أو مهملون ، أو متخلفون ، نعاني الفقر ، وما يترتب عليه من بؤس ، وشقاء ، وحرمان

إنما ننفع الناس بما نقدمه لهم من خير، نطعم جائعهم ، ونروي ظامئهم ، ونكسو عاريهم ، ونعلم جاهلهم ، ونداوي مريضهم ، ونرشد ضالهم برفق وإحسان قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ النحل: ١٢٥

فلدينا رسالة من الله – عز وجل – ليست رسالة منام وإنما رسالة يقظة حملها إلينا الإسلام ، وجعلها من الأعمال التي تقربنا من جنة ربنا ، ونعيمها وتقربنا من رضوان الله – تعالى – : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ آل عمران: ١٥

والمؤمن حين يتأمل هذه الآية الكريمة ، وينظر بموضوعية شديدة إلى تلك الرسالة يشمّر عن ساعد الجد ، فيتعلم ويعلم ، وساعة يحصل الخير من علم يتذكر قول النبي ﷺ : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) وساعة يحصِّل الخير من مال يعلم أن للمال رسالة فى الإسلام ، فليس كل ما يجمعه الإنسان يكون ملكا له هو ، وأسرته ، ففيه الزكاة المكتوبة ، وفيه الصدقة المندوبة ، وقد سئل ﷺ أفى المال حق غير الزكاة ؟ فقال ﷺ : نعم ، فعند النكبات و الحوائج يأخذ ولى أمر المسلمين من الأغنياء ما يسد به حاجة المحتاجين ، ويقاوم به تلك الحوائج ، والنوازل ، وهذا من صلب معنى الولاية

وليس معنى الولاية أنْ أشعر بإننى وليك ، أي الكبير المتعالى عليك ، الذى يأمرك ، ويصر على أنْ تعطيه ، والذى ينهاك ، وأنّ هذا حقه ، ومنتهى الولاية عنده ،

وقد مات أب ، وترك ولداً وبنتاً ، وقد انشغل الأخ ببيته وزوجته وأولاده ، وأهمل أخته ، وجاءه بعض الناس بالخبر ، أنها انحرفت عن الجادة ، فذهب إليها غاضباً ، وأخذ يبحث فى ملابسها ، وحقيبتها ، وهاج ، وثار ، وماج ، ثم لما لم يجد شيئاً قال لها : إياك أن تخرجي من البيت !

فقالت : سوف أخرج

فاغتاظ، وشاط ، ولطمها لطمة شديدة ، وقال :

أنا أخوك ، وفى مكانة أبيك ، ولى عليك حق السمع والطاعة

فقالت له – وكأنها تنشد بلغة الدمع ما لم ينشده شاعر بلغة النظم

نعم لك على السمع والطاعة ، فأين كنت يا أخي وأنا وأمك نعيش المجاعة ، يمر علينا الشتاء دون غطاء ، ويأتينا الصيف ، فيأكل جلدنا حَرّه ، ونحن فى حاجة إلى مروحة ، والناس حولنا يتروحون بمراوح ومصايف ، وأولهم أنت ، حيث تصحب أولادك ، وزوجتك ، كل صيف إلى الشواطئ ، فما دعوتنا معكم ذات صيف ، وكنت تأتينا كل شهرين أو ثلاثة كالضيف ، بل لم تكن مثل كل الضيوف ، فمن الضيوف من يحمل فى زيارته شيئاً لأهل البيت الذين

أضافوه ، وأنت ما حملت لنا شيئاً ، بل كنت تأكل وتشرب ، وتمدح أكلنا وشربنا ، وما سألت نفسك ولا سألتنا من أين جئنا بهذا الطعام والشراب ، لم تكلف نفسك عاماً واحداً بأن تدفع لأختك التي تركها أبوك أمانة فى عنقك مصاريف المدرسة ، أو تشتري لها أو لأمك ملابس ، ولو من النوع الرخيص ، كيف تتولى بمالك ، وعينك ، وقلبك ، وتزعم أنك ولى توليت أمري ، وأن لك على حق السمع والطاعة

ثم إنّ الذين أبلغوك بإننى فتاة سوء ما أبلغوك إلا لأنهم حاولوا مع أختك السوء ؛ فلم ينجحوا ؛ فساقوك إليها ؛ لتفعل فيها الأفاعيل ؛ فإن ذلك يشفى نفوسهم المريضة ، وقلوبهم السوداء ، أما وقد لطمتني ، وأدميت وجهى ، وزرقت عيني فإليك الحقيقة ، إننى أعمل فى دكان الحاج فلان صاحب والدك ، ذلك الرجل الطيب ، الذى زارنا ، ومدّ يد العون إلينا ، وأراد أن يعطينا شيئاً من مال؛ أبت أمك وأبيت معها أنْ نأخذه ، وقلنا له : إنها مستورة ، فنحن نعيش على معاش الوالد المرحوم ، وأخبرناه بأنك تقوم بالواجب وزيادة ، ولا تجعلنا فى حاجة إلى شيء ، ما قلنا له : إنك منصرف عنا ، مشغول فقط بزوجتك وأولادك ، واستشعر الرجل حالتنا ، وعرف زهدنا ، فأبى إلا أن يساعدنا بطريقة لا تجرح مشاعرنا ؛ فترجي أمك أنْ تسمح لى بالعمل فى محله نظير راتب أسبوعي ؛ فقد كبر ، وتزوجت ابنته ، التى كانت تساعده ، فوافقت أمك ، وهى تقول : هذا من فضل الله علينا ، ومن رحمته ، وما كنت

تأكله وتشربه إنما هو من عرق أختك وشقائها ، لا مِنْ شقاوتها وعبثها ، وسوء أدبها ، وانحرافها ،هل علمت الحقيقة ، هل عرفت الآن أختك !

إنّ أختك من حقك أن تشرف بها ، فقد رفعت رأسك بجهادها

كنت أود أنْ أسمع كلامك ، ولا أخرج من البيت ، وما زلت على استعداد لذلك ، لو كنت أنت على استعداد أنْ تضُمني أنا وأمك إلى أولادك ، وتنفق علينا ، ساعتها لو قلت لك : لا ، كان من حقك أنْ تضرب ، وأنْ تفعل ما تشاء

أما وليس فى نيتك ذلك فدعني وشأني .

وبهذا المنطق يقول غيرها لمن يزعم أنه وليه بالكلام ، أي وليه على الأوراق فقط ، دون أن تستحيل هذه الولاية إلى ممارسة حقيقية

وإذا كانت الولاية لها مقتضى ، ومقتضاها الرعاية الحقيقية ، والإيمان بالمسؤولية تجاه من تتولاه ، فإن هذا المقتضى يمتد من ولايتك ابنك أو أخاك إلى جارك وزميلك ، وسائر الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً

وإنْ قال قائل : لكنا لا نسع الناس جميعاً بأموالنا فإننا نسعهم بحسن خلقنا ، وحسن عشرتنا ، ومودتنا ، ونصحنا ؛ فالله – عز وجل – لا يكلف نفساً إلا ما آتاها ، والنفقة واجبة على نفس المنفق أولاً قبل ولده وزوجه ، ثم على مَنْ تجب عليهم نفقته من زوجة وولد ووالدين ،إذا كانا فقيرين . ويمتد هذا الإنفاق إلى

جائع بجواره ، يستطيع أنْ يعطيه شيئاً يسد جوعته ؛ فطعام الواحد يكفى اثنين ، وطعام الاثنين يكفى ثلاثة ، وفى رواية يكفى أربعة ، أي يسد جوعة كل منهم ، وإنْ لم يشبعه ، وروح التكافل تحقق الرخاء والسعة للجميع إن كان العطاء قليلاً ،

وأنت إذا تدبرت الآية السابقة من سورة التوبة ، رأيت أنّ المؤمنين والمؤمنات لا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقط ، وإنما مع إقامتهم الصلاة ، وإيتائهم الزكاة ، يتولى بعضهم بعضاً ، ويتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، أي أنهم يجمعون بين العبادة والمعاملة ، وما المعاملة إلا روح العبادة ، والعبادة إذا كانت بلا روح كانت عبادة ميتة ، كأي شيء بلا روح ، ولا بنبض حياة ،

وما شرعت العبادة فى دين الله الإسلام إلا من أجل أن تكون المعاملة على الوجه الأكمل ، أو القريب من الكمال

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما يشعر التعبير باللفظ كلام لا قتال ، فلا أمر بمعروف من خلال الضرب والقتل ، وكذلك النهى عن المنكر

وعلى الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر أن يعلم أنه إذا كان اليوم آمراً ناهياً فهو غداً مأمور منهى ؛ لأنه لو كان آمراً ناهياً أبداً كان ملكاً معصوماً ، وهو ليس ملكاً معصوماً ، وإنما هو بشر يخطئ ويصيب ، وقد قال تعالى :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ العصر: ١ – ٣

وصيغة التفاعل ((تواصوا)) تدل على المشاركة أي يوصي بعضهم بعضاً ، فالرفق الرفق يا من تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر

(٤) ومن الأعمال التى تقرب عامليها من الجنة تلك اللوحة المتكاملة فى صدر سورة (المؤمنون)

(أ) الخشوع فى الصلاة

ومعناه عدم الحركة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ فصلت: ٣٩

(ب) والإعراض عن اللغو

(جـ) والعمل من أجل الزكاة

(د) وحفظ الفروج إلا على الأزواج

(هـ) وحفظ الأمانات

(و) ورعاية العهود

(ز) والدوام على الصلوات

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ

لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١ – ١١

تكرر الصلاة فى آي الذكر الحكيم ، لما لها من أهمية فى دين الله الإسلام ، وقد قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الماعون: ٤ – ٧

وفى تلك اللوحة المتكاملة يقول الله – تعالى – : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ المؤمنون: ١ – ٢

ومعنى الخشوع كما ذكرت : السكون ، وعدم الاهتزاز ، وعدم الحركة المخلة بالصلاة ، التي لا أكل فيها ولا شرب ، ولا قهقهة ، ولا تلفت ، وقد روى الذهبي فى سير أعلام النبلاء عن أحد المحدثين أنه كان إذا قام للصلاة انتصب كأنه خشبة ، أي يثبت ، فتراه كأنك ترى خشبة ثابتة لا تتحرك

وليس معنى الخشوع ما تسمعه من أصحاب الهواة من الدعاة الذين يقولون لك إنّ معناه : أنْ تتصور الجنة عن يمينك ، والنار عن شمالك ، وملك الموت فوق رأسك

ومن الأعمال المذكورة فى الآيات السابقة : الإعراض عن اللغو ، واللغو كل كلام لا خير فيه ، ولا فائدة من ورائه ، وما أكثر الذين هم على اللغو مقبلون ،يحبونه ، ويعشقون بحاله ، وقد أنشئت عليه برامج تكلفت الكثير ، فمن زاعم أنه لهو مباح ، وترفيه ، ومن زاعم أنه فن وتنوير ، ومن متوهم أنه مزاح ، والمزاح ليس حراماً ، نعم ، ليس حراماً إذا كان على وجهه ، ووجهه كما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فهل قلنا الحق فى هذا المزاح ، فرفهنا عن أنفسنا ، وعن الناس ، ولم نخرج عن آداب ديننا ، وتعاليمه ، وتوجيهاته ، أم ملأنا الدنيا سباباً وشتائم ، وسخرية ، واستهزاء ، وكلاماً فارغاً هو عين اللغو

وقد يكون اللغو لغواً وهو عين الجد ، وذلك إذا كان فى وقت غير مسموح فيه بالكلام ، بدليل قول النبي ﷺ مَنْ قال لأخيه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له

ونحن كذلك نقول كلاماً لا يسمي لغواً فى ذاته ، وإنما يُسمي لغواً باعتبار السياق والمناسبة التي نسوقها فيها

ومن ذلك حديثه ﷺ الذى ذكرته ، فلا شك أنّ قوله لأخيه : أنصت ، يراد به نصحه ، وإرشاده ، لكن الوقت ليس وقت نصيحة إلا من الإمام الذى اعتلى المنبر ، فما اعتلاه إلا من أجل هذه الموعظة التي تتكرر كل يوم جمعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الجمعة: ٩

وقد قال العلماء فى هذه الآية من سورة الجمعة إنّ الله – تعالى – قال : ((فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ)) ، وجاء التعبير بـ ((ذِكۡرِ ٱللَّهِ)) ليشمل الخطبة والصلاة معاً

ويمتد معنى هذا الحديث إلى كل كلام يكون فى ذاته من الجد بمكان ، ولكن الوقت ليس وقته

دخلت أحد المحال الذى كتب أصحابه عليه إنه يفتح فى العاشرة صباحاً ، وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة بقليل، فوجدت أمة من الناس تنتظر ، والموظفون جالسون على الأرض ، وزميل لهم يخطب فيهم خطبة كخطبة الجمعة ، وقيل لى : انتظر قليلاً ، حتى تنتهى الموعظة ؛ فقلت أية موعظة ؟ وهل هذا وقت عمل أم وقت مواعظ ؛ فقيل لى : هذا نظامنا كل يوم

قلت : وأكرم بها من عادة لو كانت قبل بدء العمل الذى أعلنتم عنه .

فإن الالتزام منهج الإسلام ، والعمل فى هذا الدين عبادة ، كذلك لا تكون الموعظة موعظة ومن تَعظه جائع ، أو مُكبّل بالأغلال ، ألا ترى أن الله – عز وجل – قال:﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ ﴾ سبأ: ١٥

فقدم سبحانه وتعالى الأكل على الشكر !

وليس من الجد أنْ تعزي الناس وبيتهم يحترق ، وإنما منه أن تطفئ النيران ، وأن تنقذ ما يمكن إنقاذه قبل أن تخطب فى العزاء ، والعزاء فى الإسلام واجب

وليس من العزاء أن تقول كلاماً لأهل المصاب ، وفى وسعك أن تقدم لهم طعاماً ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: ((اصنعوا لآل جعفر طعاماً ؛ فقد أتاهم ما يشغلهم))

وفى رواية : فقد شغلوا بميتهم

فالإعراض عن اللغو يقتضي ما يأتي :

(١) البعد عما لا خير فيه من الكلام

(٢) والنظر فى الأولويات ، متى يكون الكلام يحسن ، ومتى يكون الفعل يحسن .

ومن تلك اللوحة المباركة التى تصدرت سورة (المؤمنون) ، عند قول الله – تعالى – : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٥ – ٧

أي كما قال الله – تعالى – فى آيات سورة الفرقان فى صفات عباد الرحمن : ((ولا يزنون))

وحفظ الفروج يقتضي البعد عن العادة السرية ، وغيرها ، ولكي يحفظ المسلم فرجه عليه أن يسعى إلى الزواج ؛ لأنه الوسيلة الوحيدة لممارسة تلك الغريزة ،

وقد قال ﷺ : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء " ، أي وقاية ، والذى يصوم لن يصوم الأبد ، وإنما يعمل من أجل أن يحصن فرجه ، ويغض بصره ، وعلى الأمة التي هى خير أمة أخرجت للناس أن تتعاون على البر والتقوى ،ومن تعاونها على البر والتقوى أن تيسر أمر الزواج .

والشاب الذى يتخذ من الوسائل ما يعينه على حفظ فرجه من الصوم الوارد فى الحديث الشريف ، ومن ممارسة الرياضة ، وكسر الشهوة فى العمل ، والإبداع ، عليه كذلك أنْ يبتعد عما يثير غريزته ، من مشاهدة الأفلام المثيرة للغريزة ، والصور ، والشات ، وأنْ ينأى بنفسه ودينه عن مواطن الوقوع فى تلك الفاحشة ؛ فقد قال الله – تعالى – : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء: ٣٢

ومن عناصر تلك اللوحة الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٨

أي من شمائل أهل الجنة أنهم حافظون للأمانات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ النساء: ٥٨

وأنهم حافظون للعهود ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٤

وقال عز من قائل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ النحل: ٩١

وما أكثر الذين يعاهدون فى هذا الزمان وينقضون العهود ، ولا يحفظونها ، ومن آيات المنافق أنه إذا وعد أخلف

فالخلف ليس من شيم الصالحين ، ولا من أخلاق المؤمنين الذين يبتغون رضوان الله – عز وجل – وجنته الواسعة ، وإنما من شيمهم وأخلاقهم ، الوفاء ، قال الله – تعالى : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ البقرة: ١٧٧

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ النجم: ٣٦ – ٣٧

والحياة فى ظل الوفاء جميلة ، وقد خلقها الله – عز وجل – جميلة ، لكن الناس هم الذين يزرعون فيها القبح ، وليس فقط برميهم النفايات فى عرض الطريق ، وقطع أطفالهم الورود من أغصانها ، وتلويثهم مياه الأنهار ، ولكن بسوء أخلاقهم ، وأسوء ما فيها أن يعدك إنسان ؛ فتعيش على أمل الوفاء ، أنْ يفى لك بوعده ، وفى النهاية لا تجد منه وفاء ؛ فيضيق صدرك ، ولا ينطلق لسانك ، وتجد الدنيا الواسعة أمامك قد صارت أضيق من ثقب إبرة ، وترى النور

الذى تبعثه الشمس أمام عينيك ليلاً بهيماً وسواداً مقيماً ،فإذا تجدد ذلك مع كل أحد تعامله ظللت هكذا تجد الضيق فى السعة ، والظلام فى النور

أولئك هم المؤمنون حقا

وفى سورة الأنفال الآيات (٢ – ٤) يقول الله – تعالى – : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢ – ٤

ولعلك تقف عند قوله – تعالى – : ((أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)) من حيث ذلك الحكم الحق من الله الحق بعد آيتين فقط ، أو بعد قليل صفات ، والمعهود فى كلام الناس أنْ يكون الحكم كما ترى فى أحكام القضاة بعد مائة صفحة أو يزيد

والجواب أنّ المتدبر للكتاب العزيز ، الذى هو القول الفصل ليس بالهزل يجد أنّ قوله تعالى – : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢

لا يَتَّسِعُ له المجلدات ؛ فمن وجل قلبه إذا ذكر وعيد الله – عز وجل – فقد نأى عن كل ما يتحقق به هذا الوعيد ، أي نأى بنفسه عن جميع المحرمات ،

ومَنْ نأى بنفسه عن جميع المحرمات

أي نأى عن الموبقات ، من

- الشرك بالله
- والسحر
- وقذف المحصنات
- والتولى يوم الزحف
- والزنا
- والقتل ، " قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق "
- والغيبة
- والنميمة
- والحقد
- والحسد
- وأكل أموال الناس بالباطل
- وشهادة الزور
- واليمين الغموس

- وإيذاء الناس بالقول والعمل
- وسوء الجوار
- والسباب واللعان
- ولعن الدهر
- والسرقة
- والغصب
- وشرب الخمر
- ولعب الميسر

وغير ذلك من الحرام المعروف

والآية تفتح أمامنا قضية من أهم القضايا وهى قضية ذكر الله – تعالى – فمعنى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢

إذا ذكر وعيد الله وجلت قلوبهم ، فهو على حذف مضاف ، وهذا المضاف فى الغالب إما وعيد كما فى هذه الآية ، وفى قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٥

فذكر الله هنا معناه : ذكروا وعيد الله ، أي ذكروا وعيد الله على هذا الذنب الذى فعلوه ، والظلم الذى ارتكبوه

وإما وعد ، كما فى قوله – تعالى – من آية الرعد حيث قال تعالى : ﴿ الذينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

أي تطمئن قلوبهم بذكر وَعْد الله

فليس معنى ذكر الله أنْ تقول بلسانك ((الله .. الله .. حي ... حيّ)) وهكذا

وقد أهداني أحد المتابعين لى ، الذين يستمعون إلى أحاديثى ،وبرامجى مسبحة ، وقال لى : إنها غالية عندي جداً ، فقد سبحت الله عليها مليون مرة ، وصليت على سيدنا محمد ﷺ عليها مليون مرة ؛ فأخذتها منه ، وقلت له : هل وصلت أختك الأرملة ، أُم اليتامى ؛ فقال : لا ، ولن أصلها ، فقد فعلت وفعلت ، وأخطأتْ فى حق زوجتى ، وابنتي اللتين من صفاتهما كذا وكذا

فقلت : إنّ الذى يذكر الله – تعالى – مليون مرة لابد أن يذكره فى مرة من هذا الكم الغزير على وجه الذكر ، ومن ذلك :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١

والذى يذكر رسول الله ﷺ مليون مرة ، ويصلى عليه مليون مرة ، لابد أن يذكره مرّة على وجه الذكر الشرعي المطلوب ، وقد قال ﷺ فيما روى البخاري فى صحيحه :

((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى))

أما أن يكون الذكر باللسان ملايين المرات ، وعلى المسابح وفواصل الأصابع ، مع تقبيل ظاهر الكف وباطنه ، والقلب غافل فهذا ليس من الذكر

ويطيب لى أن أذكر حديث الشيخين البخاري ومسلم ، وهو حديث أسماء – رضى الله عنها – حيث كانت تسوس فرس الزبير بن العوام – رضى الله عنه – زوجها ، وتحمل علفه على رأسها ، وذات يوم من أيام الحر صادفها رسول الله ﷺ فى الطريق ، فأراد أنْ يحملها معه ، ويرحمها من الحر ، والمشي فيه ؛ فأناخ ناقته ، وقال لها : اركبى ، تقول أسماء – رضى الله عنها – :

فتذكرت غيرة الزبير ؛ فلم أركب ، وتذكرت أنه رسول الله ﷺ ؛ فلم أستطع أن أقول له : لا ؛ فعرف ذلك ﷺ منى ؛ فتركنى ،

وذكرت ذلك للزبير ؛ فقال : لركوبك معه فى الحر أهون على من مشيك

إنّ أسماء – رضى الله عنها – لم تذكر الزبير بن العوام بأن غنت له أغنية ،أوأخذت تقول : ((الزبير .. الزبير .... الزبير)) ألف مرة ، أو مليون مرة ،

وإنما ذكرت غيرته ، وأنه زوج غيور ، ذكرتها حتى مع رسول الله ﷺ الذى كان مثالاً فى الغيرة ، والحرص عليها والدعوة إليها

ألا ترى إلى ما روي فى الصحيح أنه ﷺ رأى قصراً فى الجنة ، وفيه امرأة ، فسأل عن هذا القصر ؛ فقيل إنه قصر عمر ؛ فمضي ﷺ وقال : ((تذكرت غيرة عمر ؛ فمشيت))

فبكت عينا عمر – رضى الله عنه – وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟

ولو أنها – رضى الله عنها – ذكرت زوجها الزبير بن العوام – رضى الله عنه – ملايين المرات بلسانها ، وأخذت تقول : يا زبير يا زبير ... يا حبيبى يا زبير .... يا قرة عينى يا زبير .. يا مبعث الأمن لنفسى يا زبير .... يا ساكن فؤادى يا زبير ،،،، ملمسك عندي أرق من الحرير يا زبير ، وصوتك فى أذني أجمل من أصوات البلابل يا زبير

إلى غير ذلك ، وما ذكرت غيرته ؛ فما ذكرته ، عند النظر والتحقيق ؛

فقد نزل بأبيها الصديق – رضى الله عنه – ضيف أقطع ، أي قطعت يده حداً ؛ لأنه سبق وسرق باليمن ؛ فأضافه ، وراقبه بالليل ؛ فوجده يصلى ، ويقرأ القرآن ، فقال –رضى الله عنه – ما ليلك بليل سارق ، ثم ذهب ؛ فنام ، فلما أصبح وجد ضجيجاً ببابه ، وهذا الأقطع يدعو على مَنْ سرق الرجل الصالح أبا بكر – وكان ذهب أسماء قد سرق ، سمعه يدعو ، فيقول : اللهم

العن مَنْ سرق أبا بكر ، اللهم عليك بمن سرق الرجل الصالح ، وجماعة من الناس أمامه يقولون : آمين

وجاء صائغ من اليهود ، وسأل : ما هذا ؟ فقيل له : إنه يدعو على مَنْ سرق ذهب أسماء بنت أبي بكر ؛ فقال : هذا الأقطع جاءني به الغداة (الفجر) ، واعترف الأقطع بأنه هو الذى سرقه ؛ فقال له الصديق : والله ما عرفت الله !

أي يا من عرفت الله – تعالى – صلاة وقراءة قرآن وأنت تسرق ؛ فما عرفت الله حقا ، فلو كنت قد عرفت الله حقاً لما سرقت ، لأن الله – عز وجل – حرّم السرقة ، والزنا ، والفواحش ، وسائر المحرمات ، فمن عرف الدين ذكراً باللسان ، ومن عرفه فقط بإقامة للشعائر فما عرف الله – عز وجل – و كذلك مَنْ ذكر الله – عز وجل – مليون مرة على المسبحة ، وصلى على الحبيب المختار أشرف الخلق ﷺ مليون مرة ، وهو عاق لوالديه ، أو قاطع لأرحامه ؛ فما ذكر الله وما صلى على رسوله

ولو حدث منه ذلك أو غيره من المحرمات ذكر وعيد الله – تعالى – فتاب واستغفر ، ورجع وأناب ، وبر بوالديه ،ووصل أرحامه ، وأحسن إلى جيرانه ، وجاهد فى الله حق جهاده

أرأيت كيف كان قول الله – تعالى – : ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٣٥

كلماته معدودة ، ومعانيه كثيرة !

الذين يتقون ويؤتون الزكاة

وفى آية الأعراف (١٥٦) يقول الله – عز وجل – : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٦

قال القرطبي فى تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ٣/ ٢٨١٢

: (قال بعض المفسرين : طمع فى هذه الآية كل شىء ، حتى إبليس ؛ فقال : أنا شىء ؛ فقال الله : ((فسأكتبها للذين يتقون)) فقالت اليهود والنصارى : نحن متقون ؛ فقال الله – تعالى – : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، فخرجت الآية عن العموم

معنى ذلك أنّ من أسنان مفتاح الجنة ، التقوى ، وإيتاء الزكاة (ويتكرر ذكرها كالصلاة) والإيمان بآيات الله (ويتكرر ذلك فى عموم القرآن)

والتقي هو الذى يتخذ له من عذاب الله وقاية ، وفى الحديث الشريف : ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)) أي أن الله – تعالى – يسر أمر التقوى ، وذلك لينجو من عذابه مَنْ أراد دون مشقة أو عنت ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥

وفى الصحيح يقول ﷺ: ((على كل مسلم صدقة))

فلما قيل : فإن لم يجد ؟

قال : يعمل ؛ فينفع نفسه ويتصدق

إلى أن قال : يمسك عن الشر ؛ فذلك له صدقة

ومعنى ذلك أن التقوى تكون فى الإيجاب ، أي فى العطاء ، وتكون فى السلب ، وهو أن تمسك عن الشر ، ألا ترى إلى قوله ﷺ كما روى البخاري فى صحيحه : ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يصمت))

حتى الصمت ، الذى هو سلب ؛ إذ إنه فى مقابلة الكلام ، لكن لما كان الكلام غير خير ، وغير طيب ، كان الصمت عن مقابله من آيات الإيمان بالله واليوم الآخر ، والإيمان بالله واليوم الآخر لا بد له عن مقتضى ، ومن مقتضى السكوت عن كل الشر والخبيث من الكلمات ،

ولاشك أنّ المؤمن بالله واليوم الآخر يرجو جنة ربه فى اليوم الآخر ، ويرجو البعد أو الزحزحة عن النار ، قال الله – تعالى – : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥

أي مَنْ زحزحه الله عن النار وأدخله الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، فمن أدرك أنّ الحياة الدنيا متاع الغرور ، فلم تغره ، ومن أخذته فى طياتها ، وأغرقته فى بحارها لم ينج منها ، وأدركه الموت دون أن يعمل لآخرته شيئاً ، وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨

وكل آت قريب ، وكل آت ولو بعد لحظة من زمان قريب ؛ فليس معناه اليوم التانى بيوم الذى أنت فيه ، كما هو معهود معروف عند الناس

والذين يتقون هم الذين يحرصون كل الحرص على إقامة شعائر الله ، وتعظيمها ، قال ربنا – سبحانه – وتعالى – : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ ﴾ الحج: ٣٢

وأداء العبادات كما أكرر ليس هو الغاية المطلوبة ، وإنما الغاية فيما وراء العبادات من حسن الخلق ، وحسن العشرة ، وعمارة الأرض ، وإصلاحها ، والسعى فى كل طاعة .

نود أن نرى ذلك المتقى الذى يعظم شعائر الله نسمة بين الخلائق ، إنْ مشى شممت عطراً . وإنْ جلس آنست طيباً

وإذا تكلم نطق صدقاً وعدلاً ، قال الله – تعالى – : ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ الأنعام: ١٥٢

وقال عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

والذى يعرف التقوى فى أمور الدنيا نجده حريصاً أشد الحرص ، على أن ينجو من آثار ما اتقى منه ، أي أنه إذا اتقى مخالفات المرور قاد سيارته وفق تعليماته ، وحرص على عدم مخالفتها ، حتى لا تسجل عليه مخالفات ، تجعله يدور كما تدور الرحى حين يسمع رقمها ،

والذى يتقي الرسوب فى الامتحانات يجتهد ليله ونهاره ، وينكب على كتبه ، ويعتكف عليها ، ويحصل ما شاء الله له أن يحصل

- ومن اتقى نزلة البرد فى الشتاء لبس الملابس الثقيلة التى تقيه منها
- ومن اتقى مواضع الشبهات نأى برجليه عن السير فيها
- ومن اتقى هجمة الأعداء ، أعد السلاح اللازم لمواجهتها ، وهكذا

وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ الأنفال: ٦٠

وقال عز من قائل : ((وخذوا حذركم))

ومن تأمل كل شيء من شأنه أنْ يبعث فى نفسه الخوف و الفزع فى الدنيا وجد ذلك كله ليس شيئاً بالنسبة إلى النار الحامية ، نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة

ومن ثم كان على العاقل أنْ يتقي سوء العذاب ببعده عن المعاصي والآثام ، واجتهاده فى الطاعات ، وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦

ويقول عز وجل – : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزمر: ٤٧ – ٤٨

وكما ذكرت فقد يسر الله – تعالى – أمر الدين ، وجعل التقوى فى التصدق بشق تمرة ، وفى كلمة طيبة ، وفى إماطة الأذى عن الطريق ، وقال وقوله الحق : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٨٦

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم – أن يتصدقوا ؛ فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة ألاف ، وكان رضى الله عنه – قد أصاب ثمانية ألاف ، فترك لأهله النصف ، وجاء رسول الله ﷺ بالنصف

وكان فى الأنصار رجل اسمه أبو عقيل ، كان يعمل بالليل يسقي زرع الناس على صاعين من تمر ، ترك لأهله صاعاً ، وجاء رسول الله ﷺ أي جاء كذلك بنصف ما عنده ، وهو الذى لمزه المنافقون ، وقالوا : إن الله – تعالى – غني عن صدقة هذا ، فلما جاء رسول الله ﷺ بنصف ما عنده ، أي بصاع من تمر قال له ﷺ : " انثره فوق الصدقات "

أقول : كأنما أراد ﷺ أن يجعله تاجاً وزينة فوق الصدقات وفيه نزل قول الله – تعالى – من سورة التوبة : ﴿ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٩﴾ ﴾ التوبة: ٧٩

فقد تقبل الله – تعالى – من صاحب الأربعة المؤلفة كما تقبل من صاحب الصاع ؛ لأنه لم يجد غيره ، وقد تساويا –رضى الله عنهما – من حيث جاء كل منهما بنصف ما عنده ، وإن اختلف مقدار النصف عند كل ، هذا أربعة ألاف ، وهذا صاع من تمر ، وهكذا وجدنا وصف الله – تعالى – عباده المؤمنين بالإيمان ، وهو حكم يَسُر بلا شك ، ويبشر دون غرور ، وذلك لأنهم لا يجدون إلا جهدهم

وهنا كلمة مهمة أراها من الضرورة بمكان ، ذلك أن الجهد قد يكون حقيقا ، وقد يكون غير ذلك ، أي قد يكون المتصدق بالفعل صادقاً حين يقول لك : خذ لوجه الله ؛ فهو جهدي

ويعطيك ما يعدل نحو صاع من تمر ، وهو قادر على أن يعطيك ما يساوي صاعاً من ذهب ؛ فهذا بلا شك كذاب

ومن رحمة الله – تعالى – تركه مساحة لعباده ، كان المصدق (الذى يجمع الصدقات) لا يسأل إلا عن المال الظاهر ، مثل الماشية والزروع ، أي التي أمام عينيه ، لكنه لا يسأل عن المال الباطن ، وعلى صاحب المال الباطن أن يتقي الله – عز وجل – فيه ؛ فيخرج زكاته

وكذلك لا يأخذ المصدق كرائم أموالهم ؛ لقوله ﷺ : ((وإياك وكرائم أموالهم)) أي لا يأخذ من الشياه الشاة الجميلة التى فيها ؛ قال العلماء : وذلك حتى لا تتبعها نَفْسُ المزكي ، ثم قالوا :

فإن طابت بها نفسه ، وأعطاها المتصدق جاز للمصدق أنْ يأخذها ، ولكن كما ذكرت – عن طيب نفس منه ، فانظر إلى هذا اليسر ، وإلى هذا الجمال فى الزكاة المفروضة ، التي يؤديها المؤمن ، والتي خصها رب العزة بالذكر فى قوله – عز وجل – : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ فصلت: ٦ - ٧

ومعلوم أن المشركين لا يصلون ، ولا يزكون ، ولا يحجون ، وإنما خصت الزكاة بالذكر ؛ لأنها ضرورية فى إقامة حياة الفقراء والمساكين وغيرهم من أولى الحاجة ، قال تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ الذاريات: ١٩

وقد تكرر ذكر الزكاة ، كما تكرر ذكر الصلاة فى عموم آي الذكر الحكيم ، وهما من الأعمال التي تقرب العبد من رضوان ربه ، وجنته الواسعة

وتكون التقوى بعمل الصالحات التي يستطيع كل إنسان أن يعملها حسب طاقته ومقدرته ، فالإيمان كما قال النبي ﷺ بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق

ومَنْ ذا الذى يعجز عن إماطة الأذى عن الطريق برفع نفاية ، أو ورقة ملوثة ، أو حجر ، يؤذي الناس ، ومن ذا الذى يعجزه أنْ يدلى بلدوه فى دلو المستسقي ؛ فيعطيه شيئاً من ماء ، كما قال ﷺ كله صدقة ، لا شك أن ذلك لن يعجز أحداً إلا من اتبع هواه ، وأعرض عن المعروف ، وهذا المعرض عن المعروف نوعان :

الأول : لم ينشغل يوماً بالمعروف ، كقضية من قضايا الحياة ، التي ترسل الخير فى طريق الناس ، فهو مشغول بما وراءه ، وقد يكون فيه معروف بلا شك ، لكنه لا يحتسب ،

والثاني : نوع يرى المعروف وفعله من سوء الفطن ، وأن الناس لا يستحقون ، وقد ضربت فى ذلك أمثال سائرة ، منها : ((من تحسبه موسي تجده فرعون)) ومنها ((من يفعل خيراً يلق شراً)) ومنها ((من قدم الخير يندم)) و ((لا أحد يستحق)) وغير ذلك كثير ، ثقافة شيطانية ، وأقول إنها شيطانية لتناقضها قول الله – عز وجل – : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ - ٣٥

وقوله – تبارك اسمه – : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ المزمل: ٢٠

وما أكثر الفلسفات الشيطانية التي تسربت إلى حياتنا ، فأفسدت علينا حياتنا ، وألبست على كثير من الناس دينهم ، وبالتدريج تحول الناس – كما قال ربنا – إلى قتلة ، ألا ترى إلى قول الله – تعالى – : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٧

وتناسى الناس المعروف شيئاً فشيئاً إلى نسيانه تماماً ؛ لأن التدريج فى عمل السوء يؤدي إلى فعل المزيد منه ، حتى يصل فاعل السوء إلى قمته ،

ألا ترى إلى قول الله – تعالى – : ((ولا تقربوا الزنا))

لأن قرب الزنا يؤدي إليه ، وكم قال أناس : إننا لا نزني ، ولا نعص الله – تعالى – وإنما لقاءاتنا بريئة ، ولا يدرون أنّ تلك اللقاءات البريئة سوف تؤدي آخر الأمر إلى لقاء بغيض غير بريء ، وهو الوقوع فى الفاحشة بالتدرج

وكذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الإسراء: ٣٤

وقوله – عز من قائل : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأنعام: ١٥١

وهذا النهى المتكرر عن قرب ما حرم الله من باب التنزه عن القليل من تلك الفواحش والآثام ؛ لأن التنزه عنها أسلم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ الأحزاب: ٥٣

ولأن قرب الفواحش يؤدي حتماً إلى الوقوع فيها ؛ كما قال ﷺ : " من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه " .

والمتقون هم الذين لا يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، قال الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠

ووجه ربنا – تعالى – الذين يخافون على ذريتهم الضعيفة من بعد موتهم بأن يتقوا الله

قال عز وجل : ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩

ورحمة الله تعالى ، الواسعة يكتبها للذين يؤتون الزكاة ، أي الذين يؤدونها بأمانة عن أموالهم ، وفى مصارفها المشروعة : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ التوبة: ٦٠

ومثال الرحمة الواسعة الذين يؤمنون بآيات الله

والإيمان بآيات الله – تعالى – يقتضي العمل بما فيها ، وكثير من الناس يقول : نحن نؤمن بآيات الله ، وهم يتلون تلك الآيات لاسيما تلاوة رمضان ، حيث تجد المصاحف مفتحة أمام الناس ، هذا يقول : أنا أختم القرآن كل رمضان عشر مرات ، وهذا يقول : مرتين ، وهذا يقول : مرة كل عام ، وهكذا ، ونحن حين نتلوا آيات الله نمر بلا شك على قول الله – تعالى – : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ النساء: ٣٦

ومع أنك ترى ما ترى من عقوق وإساءة للوالدين ، والأقارب الذين أمرنا ربنا بوصلهم ووصالهم ، ونرى إساءة بالغة بين الجيران ،

وتبعاً لفلسفة الشيطان تجد أصحاب العقوق يرون أنّ كل الآباء والأمهات أهل للبر إلا آباءهم وأمهاتهم ، وأنّ كل الأقارب أهل للصلة والتواصل إلا أقاربهم

كما قالت زوجة إنّ فلاناً زوجي يسيء إلى ، ويشتمني ، ويلعن أهلي ، الحي منهم والميت ، ولا يكرمني ، ولا يرحب بأحد من جانبي ، فلما قلت لها :

راجعي نفسك ، ولا شك أنك سوف تجدين تقصيراً من جانبك ؛ فأحسني إليه يحسن إليك ، وإلى أهلك ؛ فالله – عز وجل – يقول : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ الرحمن: ٦٠ ،

فقالت : ((مش ده))

أي : ليس هذا هو الذى إنْ أحسنت إليه أحسن إليك ، وبقولها يقول العاقون لآبائهم وأمهاتهم ، ويقول المسيئون إلى جيرانهم

والله يعلم أنهم لو كان لهم أهل غير الأهل ، وآباء غير الآباء ، وأمهات غير الأمهات ، وكان لهم جيران غير الجيران لأساءوا ؛ لأنهم سوف يقولون تلك العبارة ؛ حيث إنها توغلت فيهم ، وسكنت داخلهم ، وامتزجت بدمائهم ، كالمثل يضرب عند الجاهلين دائماً فى سياقه ، وفى غير سياقه

والمثل يضرب عند العاملين فى سياقه ، وما وافق أصل قصته ، كما فى قول القائل : الصيف ضيعت اللبن ، يضرب فى كل موضع كان فيه أنْ ضيع إنسان فرصة خير كانت فى يده ، وهكذا ، فإذا ضربته فى غير سياقه جرح ، ولم يداو ألم ولم يقدم نصحاً ، ولا توجيها ، ولا خيراً .

وإنما يقول : ليس هذا ، وهذا الذى يقول تلك العبارة يصح أنْ يقال فيه : ((لا يعجبه العجب ولا الصيام فى رجب))

وإنْ استبدل جاراً بجاره ، وقال : ليس هذا هو الجار الذى يستحق الإحسان ، وكان من قبل يتمنى جواره ، فعاتبه أحد ، وذكره بما قال ، لقال لك : ما كنت أدرى أنه سيء

كنت أزعمه (موسى) ، ومن زعمته موسي بدا لك أنه فرعون ، أو قال لك تلك العبارة الشائعة : ((أنت لا تعرف أحداً إلا إذا عاشرته ، وأنا لم أعاشره ، لذلك ما كنت أعرفه))

الأمر الذى يجعلك تقول :لا فائدة .... لا فائدة

وأنت على صواب ، فإن أردت الفائدة ، فانصح الناس ؛ لأن الدين النصيحة ، وربِّ الأجيال على الثقافة الإسلامية الصحيحة ، التي تؤثر الإحسان على الإساءة ، وتدفع السيئة بالحسنة ، لا بالسيئة مثلها ، قال الله تعالى فى أصحاب الجنة : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٢

ولن يدرأ السيئة بالحسنة إلا من طمع فى عقبى الدار ، حيث النعيم المقيم ، ورضوان رب العالمين ، جل فى علاه

فما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون

التوكل على الله

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ هكذا قال الله – تعالى – فى أصحاب الجنة الذين قال فيهم : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الأنفال: ٤

والتعبير بقوله – تعالى – : ((حَقًّا)) أي بالقطع الذى لا شك فيه ، فمن كان مؤمنا حقا توكل على الله ، وقد كثر كلام الناس فى التوكل ، وفيه صحيح ، ومنه سقيم ، فمن صحيحه أنه الثقة فيما عند الله – عز وجل – فى الأخذ بالأسباب

ولكن التوكل على الله – عز وجل – بعد استقراء آياته أرى أن معناه (الإنجاز) ، فمن أنجز عملاً مشروعاً فقد توكل على الله – عز وجل – ومن لم ينجز عملاً مشروعاً لم يكن متوكلاً ، وإنْ ادعى أنه من المتوكلين .

ألا ترى إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ آل عمران: ١٥٩

فكما ترى أنه بعد المشاورة عزم ، وبعد العزم ، توكل على الله ، أي إنجاز العمل الذى كانت فيه المشاورة ، فهذا معنى التوكل

وكذلك قول الله – عز وجل – : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف: ٦٧

وكان التوكل على الله بأن مضوا ، وسافروا ، ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم ، بدليل قول الله – تعالى – فى الآية بعدها : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ يوسف: ٦٨

وبهذا المعنى ترى كثيراً منا متخلفين عن التوكل ؛ فما أكثر الكلام والجدال واللفظ ، والتشاور ، وقضاء الليالى فى موضوعات ، وتجاذب لأطراف الحديث ، وفى النهاية لا ترى عملاً منجزاً ملموساً ، فهل هذا من التوكل !

إذا فهمنا أن معنى التوكل على الله – عز وجل – الإنجاز ، وأردنا أنْ نكون من المتوكلين الذين يحبهم الله – عز وجل – ويعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار أنجزنا ، فإن لم ننجز فلا توكل على الله ، وعلينا أن نتوكل على الله حق توكله ؛ لأننا إذا توكلنا على الله حق توكله رزقنا فى الدنيا ، وأدخلنا فى الآخرة جنته ، قال ﷺ : ((لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً))

إنّ كلام كثير من الناس معسول جميل ، لكن إذا نظرت إلى الفعال ، والإنجاز ، لا تكاد تجد شيئاً

الأمر الذى يدل على المفارقة بين ما تؤمن به ، وتدعي اعتقاده ، وبين واقع حياتنا ، وما يسفر عنه من مأساة حقيقية ، ومنها أننا لا نرى لنا إنجازاً ، مع قولنا ليل نهار : إننا متوكلون على الله ، وقول بعضنا لبعض : توكل على الله ، وكأننا نقول له : لا نتوكل ، بهذا المعنى

ملأنا الدنيا كلاماً جميلاً فى كل أمر من الأمور ، التي من شأنها أنْ تصلح من حال الفرد ، وترتقي بحال الأمة ، فما تقدم الفرد ، وما رفعت راية للأمة

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان قليل الكلام ، لا يتكلم فى غير حاجة ، لكنه عظيم الفعال ، وكثير من الناس على عكس ذلك صراحة ، تراه كثير الكلام لكنه قليل الفعال ، تكلمنا فى كل حاجة ، وما فعلنا – مع الأسف – حاجة

فهل نحن بذلك متوكلون ، أم أننا بلا مبالاة ، ندعي التوكل ، حيث أطلقناه لفظا ، وفارقناه معنى ،وعملاً ؛ حيث لم ننجز كما ذكرت عملاً ذا بال

والعجيب أننا نجد إسرافاً كثيراً فى إطلاق لفظ التوكل ، فعند المنام تقول : توكلنا على الله ، وكأن النائمين على الله متوكلون

وقد سأل رجل عن صديق له قديم ، فقال له : مَنْ سأله :

يا سلام ، تسأل عنه الآن !

لقد توكل على الله من زمان !

أي : مات

وكأن الذين ماتوا كانوا متوكلين

فيا ليت الذين مازالوا على قيد الحياة يتوكلون ، كما يتوكل النائمون ، والموتى !

الإيمان والهجرة والجهاد والإيواء والنصرة

وهذه مجموعة من الأعمال والصفات هى بحق من أهم أسنان مفتاح الجنة ، جمعها الله – عز وجل – فى آية واحدة ، هى الآية (٧٤) من سورة الأنفال ، حيث يقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنفال: ٧٤

لوحة رائعة عظيمة ضمت من الأعمال والصفات ما يأتي

(١) الإيمان

(٢) والهجرة

(٣) والجهاد فى سبيل الله

(٤) وإيواء الإخوان ونصرتهم

وقد قال الله – تعالى – فيهم : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٤

وهل ترى المؤمنون حقاً إلا فى جنات تجري من تحتها الأنهار !

وإذا كانت الهجرة قد انتهت بالفتح ؛ حيث قال رسول الله ﷺ : " لا هجرة بعد الفتح "

فإنها باقية إلى يوم القيامة على معنى أنها هجرة الفحشاء والمنكر ، كما قال ﷺ : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وفى رواية : والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه ؛ فما أشد حاجة الراغبين فى الجنة إلى هجرة ما نهى الله – تعالى – عنه – ليس فقط من هجرة السرقة إلى العمل ، وهجرة الزنا إلى الزواج ، وهجرة السوء إلى الحسن

ولكن أيضاً – ومهم أنْ يكون – أنْ نهجر الفكر السيء ، والموروث البغيض من الثقافة الخاطئة ، التي تمكنت منا ، وصارت كأنها دين صحيح يجب اتباعه ،

نعم يجب علينا معشر الراغبين فى جنة الله – ربنا – أنْ نعمل عقولنا ، حتى لا نكون كالذين قالوا : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ الملك: ١٠

وليس من إعمال العقل أن تهجر أخاك فوق ثلاث ، تلتقيان ؛ فتعرض و يعرض ، وخيركما الذى يبدأ بالسلام ، كما قال سيد الأنام ﷺ وليس منه أنْ نفهم التوكل على الله ، كلاماً ، فتقول آناء الليل وأطراف النهار : توكلنا على الله ، ونحن لا نعمل شيئاً

والجهاد فى سبيل الله : كل جهد يبذل فى إقامة الدين ورفع راية المسلمين ، إمّا فى ساحة الجهاد ، وميدان القتال إذا دعت إليه الضرورة ،

وإما فيما لا يحصى من أعمال الصالحات ، فقد قال الله – عز وجل –:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ الحج: ٧٨

فطالب العلم يجاهد فى الله حق جهاده إذا اعتكف على كتابه ، وأخلص فى طلب العلم ، ولم يجعل أيامه كلها فى اللعب ، ولم يلجأ إلى الغش ، الذى اعتاده كثير من الطلاب ، كان مجاهداً فى الله حق جهاده

والعامل فى مصنعه ، والتاجر فى متجره ، والفلاح فى حقله ، أي كل فى مجاله يستطيع أنْ يجاهد فى الله حق جهاده ، بإفراغ جميع الطاقة فيما عمله مبتغياً بذلك الدار الآخرة ، ألا ترى إلى قول الله – سبحانه – : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ القصص: ٧٧

وهى شاملة لكل مَنْ آتاه الله – عز جل – نعمة من ولاية أمر ، حتى الخادم فى بيت سيده ومزرعته ، يمكن أنْ يجاهد فى الله حق جهاده مبتغياً فى تلك الحرفة الدار الآخرة ، بإخلاصه فيها ، والدفاع عنها ، ورعايتها حق الرعاية ، وقد قال ﷺ : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته))

وذلك من أول الحاكم العادل الذى هو أول المعدودين فيمن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله إلى الخادم فى بيت سيده

وأما إيواء الإخوان ونصرتهم فهو من دلائل الإيمان ، وبراهين الأخوة فى الله – قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠

وللأخوة مقتضى ، ومن مقتضاها أنْ تكون عوناً لأخيك ، خصوصاً عند الشدة ، والأزمات ، كما كان من الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين – رضى الله عنهم أجمعين

وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩

والناس اليوم قد صار كل منهم مشغولاً بنفسه ، وأسرته ، لا يسأل المرء عن جاره ، بل إنّ كثيراً من الناس لا يعرف بعضهم جاره ، وإنما يظل فى حاله ومشغولاً بأسرته وضيوفه من خارج عمارته التي يسكن فيها

بل إن من المآسي أنْ تجد أرملة فى حضنها أيتام ، ولهم أعمام ، وأقارب يرفلون فى واسع النعم ، ولا يسألون عنها وعنهم ، ولا يعطونهم شيئاً ، وهى مضطرة – تمد يدها إلى الأباعد

وقد قال الله – تعالى – : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد: ١١ ـ ١٨ ، والله – عز وجل – يقول : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الأنفال: ٧٥

قال الله – تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنفال: ٧٤

أي أنّ الذين آمنوا ،وهاجروا ، وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم ،وأنفسهم ،وآووا ،ونصروا، هم المؤمنون حقا ، والمؤمنون حقا مبشرون مِنَ الله – عز وجل – بمغفرة منه ،ورزق كريم

والإيمان ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل ، والهجرة بلا شك عمل

والجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس من أهم الأعمال وأجلها ،

وكذلك الإيواء ، إيواء الإخوان ، ومد يد العطاء إليهم من أجل الأعمال كذلك ، أي أنّ كل عنصر من عناصر اللوحة السابقة عمل

فلابد من العمل من أجل أنْ يقرب العبد من الله – عز وجل – أي من جنته الواسعة التى عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، فهنيئاً لمن سعى فى تلك الأعمال باذلاً فيها جهده ، قاضياً فيها عمره ، مجاهداً فى الله حق جهاده حتى يأتيه اليقين

واليقين : الموت ، وما بعد اليقين يقين ، ويقين ما بعد الموت جنات تجري من تحتها الأنهار ، أكلها دائم وظلها ، أي أنّ المؤمن على يقين من ثواب الله – عز وجل –

إحسان العمل

وإذا كان دخول الجنة الذى هو برحمة الله – عز وجل – ورحمة الله – عز وجل – إنما تتمثل فى رضاه عن عمل العاملين ، قال تعالى – وقوله الحق :

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٦

وقال – عز وعلا – : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف: ٤٣

لكننا نقف ملياً عند قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٣٠

فالعبرة فى الأعمال المقربة من الجنة أنْ تكون حسنة ، حتى الذبح ((وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة))

وقد سبق الكلام على الإحسان .

اقتحام العقبة

واقتحام العقبة من أهم الأعمال التي تقرب من جنة الله ، ومعناها اقتحام عقبة النفس ((شحها وحرصها)) قال الله – تعالى – : ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد: ١١ – ١٨

أي كان اقتحام العقبة التى لم يستطع الإنسان اقتحامها من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، فهم الذين يفكون الرقاب ، وأفضل رقبة أنفسها وأغلاها ، كما جاء فى الحديث الشريف

وهم الذين يطعمون الطعام ، خصوصاً أيام الشدة والجدب اليتامى الأقارب ، فإن لم يجدوا يتيماً قريباً أطعموا اليتيم البعيد ، وكذلك المساكين المحتاجين

وقد قال الله – عز وجل – : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩

أي ومن اقتحم العقبة وهى عقبة كؤود : لأنّ المسلم إذا همّ بإخراج صدقة نازعه سبعون شيطاناً ، كل منهم يقول له : أنت أولى ، وعيالك أولى بها ، وإذا هم بإخراج مائة ، قالت له الشياطين : يكفى أنْ تخرج خمسين ، وإذا هم

بإخراج الخمسين ، قالت له الشياطين : تكفى العشرة ، فإذا همّ بإخراج عشرة ، قيل له : وهل تصلح ؟ كالمنافقين الذين لمزوا أبا عقيل حين جاء رسول الله ﷺ بصاع من تمر ، وقالوا فيه : إن الله عن صدقة هذا لغني ، لذا قال ربنا – تعالى – : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩

التواصي بالحق والتواصي بالصبر

ومن الأعمال الصالحات ، والباقيات الصالحات التي يتقرب بها المسلم الحريص على إصلاح أسنان الجنة : التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر

وصيغة التفاعل ((التواصى)) من الصيغ الدالة على المشاركة ، فلابد أن يوصيك أخوك بالحق ، وأن يوصيك بالصبر الذى هو جميل ، والصبر الجميل : هو الصبر الذى لا تكون فيه الشكوى إلا لله – عز وجل –

والذى يبدو صاحبه قوياً غير مستكين ، جلداً غير ضعيف

ألا ترى إلى قول الله – عز وجل – : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦

أي أنّ الله – عز وجل – يحب الصابرين الذين لا يضعفون ولا يستكينون لما أصابهم ، وإنما ترى الواحد منهم كأنه غير مصاب ، أي ليس مصاباً بشيء من

المصائب التى تخر لها جباه كثير من الناس ؛ فمن الناس من تراه يقول : إني من الصابرين ، وهو جزع ، يشكو زمانه، ومكانه ،ومَنْ حوله ، ومصابه ، ويقول : نعم ، يا أخي ، إنّ الصبر طيب ، وإنّ الله يحب الصابرين ، ويحكي لك ما أصابه ، وقد تكون مصيبته هينة جداً ، لا تستحق كل هذا الضجر ، ولكنها النفوس الضعيفة التى تجزع لأدنى مكروه ، ولله در المتنبي حيث قال :

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ

وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

ومن شأن المؤمن أنه يتقوى بإيمانه ، وقد قال الله – عز وجل – فى آية البقرة :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ البقرة: ٢١٤

ومن قديم قال الناس : " اشتدّى أزمةُ تنفرجي " ، ونحن مع الأسف عند اشتداد الأزمة المؤذن بانفراجها نضل ضلالاً بعيداً ، إذْ نمزق الثياب ، ونلطم الخدود ، ونقول : فاض ما بنا ، وبلغ اليأس منا مبلغه ، بينما النصر والفرج بالباب ، لكنها لحظة العمى ، التي تعتري الإنسان قبيل انفراج الأزمة ، وحلول نصر الله عنده ، وهذا جانب من جوانب الحديث عن الصبر ، وهو مهم ؛ فإن الحياة برمتها رحلة صبر ، وهى بلا شك جميلة ، والصبر جزء من جمالها ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

الصَّبْرُ كَالصَّبْرِ مر فى تذوقه

لكن عواقبه أحلى من العسل

أي أنه إذا كان صعباً على النفس فإنما هو مقدمة لخير بعده ، فى الدنيا بانفراج الأزمة ، وفى الآخرة بجنات تجري من تحتها الأنهار ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠

الأقوال التي تقرب من الجنة

وكما تكون الأعمال الصالحة مقربة من الجنة تكون كذلك الأقوال النافعة الصالحة مقربة من الجنة ؛ ولذا كان من دعاء المسلمين

((اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل)) .

وقد روى السهيلى – عليه رحمة الله – فى الروض (أنّ أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – ذكرت قريباً لها هو عبد الله بن جدعان ، الذى كان كريما مطعماً فى الجاهلية ، وهو صاحب الجفنة المعروفة بمكة ، التي كان فيها الطعام الكثير المبالغ فيه من اللحوم ، يأكل منها الناس ، وقد استظل رسول الله ﷺ بظلها يوماً ، فانظر كيف كان اتساعها ، فقالت رضى الله عنها : هل ينفعه ذلك يا رسول الله يوم القيامة ؟

فقال ﷺ : لا ؛ لأنه لم يقل يوماً : ((رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين))

فلابد من أن يقول المسلم الراغب فى الجنة : ((رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين))

ومن دعاء القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٢ – ٨٩

ومن دعاء القرآن الكريم كذلك قول عباد الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ الفرقان: ٦٥ – ٦٦

وقد جاء كعب بن الربيعة – رضى الله عنه – يخدم رسول الله ﷺ فسأله رسول الله ﷺ عن شيء يريده ؛ فقال : مرافقتك فى الجنة ، ليس لى إلا هذا ؛ فقال له : أعني على ذلك بكثرة السجود

والسجود خاص وعام

أما الخاص فهو سجود الصلاة المعروف

وسجود التلاوة ، أي وضع الجبهة على الأرض

وأما السجود العام فمعناه الطاعة لله – عز وجل – فمن أطاع الله – تعالى – فقد سجد ، ومن لم يطع الله – عز وجل – لم يسجد ، وإنْ سجد آناء الليل وأطراف النهار

ومن دعاء القرآن الكريم : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٢ – ١٩٣

ومن دعائه كذلك : ﴿ وَٱدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٥١

ومنه : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ يوسف: ١٠١

والدعاء فى الإسلام ملتبس بالعمل ، وتلك قاعدة مهمة ، أي أنّ الذى يقول بدعاء القرآن الكريم ، ويسأل الله الجنة عليه أن يعمل بعمل أصحابها ، حتى لا يكون كالمتمني ، قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ النساء: ١٢٣

وقد قال الله – عز وجل – فى أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الطور: ٢٨

ومع ذلك قال الله – تعالى – فيهم : ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ الذاريات: ١٦ – ١٩

وقال فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤ – ١٣٥

وقال فيهم : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد: ١٧ – ١٨

أي كان منهم اقتحام العقبة من فك الرقاب وإطعام الطعام

ومع الدعاء الملتبس بالعمل ، أي مع الجمع بين الدعاء والعمل ، هناك أقوال أخرى كثيرة ، مما يتصل بالأقوال التي تقرب من الجنة ، ومن تلك الأقوال

النصيحة

فالدين كما قال رسول الله ﷺ النصيحة لله بالعمل بكتابه ، ولرسوله ﷺ باتباع سنته ، ولخاصة المسلمين بنصحهم بتقوى الله ، ورعايته – تعالى – فى الرعية ، ولعامتهم بتوجيههم ، نحو ما فيه صلاحهم

- ومن تلك الأقوال شهادة الحق لا الزور ، فكم أثبتت شهادة الحق حقاً للناس ، وكم ضيعت شهادة الزور حقوقاً من دماء وأموال
- ومن تلك الأقوال المقربة من الجنة الشفاعة الحسنة كما ذكرت ، وهى من الأعمال اليسيرة
- ومنها إرشاد الضال ، ودلالة المحتاج إلى معرفة عنوان إليه
- ومنها إبداء الرأي عند المشورة
- ومنها قول الذى لا يعلم ، لا أعلم ، ولا أدرى

ولكن الذى يقول : لا أدرى ، عليه أن يدرى ذات يوم ، حتى لا يظل العمر جاهلاً

- ومنها أقوال الذكر والتسبيح

ألا ترى إلى حديث البخاري الذى ختم به الجامع الصحيح ، وهو قول رسول الله ﷺ : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم))

ولكن الذى يقول بلسانه ((سبحان الله وبحمده)) عليه أنْ يعرف أنّ معنى التسبيح : تنزيه الله – تعالى – عن كل نقص لا يليق بذاته المقدسة

ومَنْ نزه الله – تعالى – عن كل نقص لا يليق بذاته المقدسة اتهم نفسه بالظلم ، ألا ترى إلى قول آدم وحواء – عليهما السلام – : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٣

وإلى قول كليم الله – تعالى – موسى – عليه السلام – : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص: ١٦

لكن كثيراً من الناس يقولون بألسنتهم : سبحان الله وبحمده ألوف المرات ، ويقولون فى الوقت نفسه : إننا ما عصينا الله – تعالى – وما فعلنا شيئاً يغضبه ، ودائماً نحن فى طاعة ، ودائماً نحن فى عبادة ، ولا ندري من أين تأتينا المصائب !

وهذا ليس تسبيحاً ، فإن مَنْ سبّح الله – عز وجل – اتهم نفسه بالظلم ، وكل ظالم لنفسه مع اختلاف المقدار

وقد قال يونس – عليه السلام – وهو فى ظلمات الليل والبحر ، وبطن الحوت :

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧

فقال الله – تعالى – : ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ﴾ الصافات: ١٤٣ – ١٤٤

أي لولا أنه كان من المسبحين حقاً ، وذلك بأن جمع بين ((سُبۡحَٰنَكَ)) وبين ((إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ))

وقد ورد أنّ الله – تعالى – اصطفى من الكلمات كلمات لا يضرك بأيها تبدأ : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقد كان ﷺ يقول عقب كل صلاة مكتوبة ثلاث مرات :

((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحي ويموت ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد))

روى ذلك البخاري فى صحيحه

كما روى أيضاً أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ : إني أحبك يا معاذ ؛ فقال رضى الله عنه : وأنا أحبك يا رسول الله ؛ فقال له : قل عقب كل صلاة : ((اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))

ومن تلك الكلمات التي يحبها الله – عز وجل – ورسوله ؛ أنْ يأكل العبد اللقمة ويحمد الله عليها ، وأنْ يشرب الشربة ويحمد الله عليها

أي بعد كل تناول لقمة وشربة يقول : ((الحمد لله))

- ومنها أنْ يقول القول الكريم لوالديه ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ الإسراء: ٢٣

وأنْ يقول القول الميسور لأصحاب الحقوق عليه ، إنْ كان فى إعراض عنهم لرحمة يرجوها من ربه

﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الأعراف: ٥٦

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨ ﴾ الإسراء: ٢٨

- ومنها الكلمة الطيبة على وجه العموم ، قال الله – تعالى – : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ٢٦ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾

إبراهيم: ٢٤ – ٢٧

والكلمة الطيبة صدقة كما قال ﷺ فإن لم يستطع أن يقول كلمة طيبة أمسك عن الشر فذلك له صدقة .

فما أطيب أنْ يكون لسانك رطباً بذكر الذى يرضيه ، وأنْ تمسك عن الشر ،وقول السوء ،

فقد ورد فى الصحيح : وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم

وقال الصديق – رضى الله عنه – :إن هذا – أي لسانه – أوردني الموارد ، وهو من تواضعه رضى الله عنه – ومن رغبته فى أن يغفر الله له

فما بال كثير من الناس يخوضون بألسنتهم فى أعراض إخوانهم ، ويقولون مالا يرضى ربهم ، ويقولون : ((عمرنا ما نطقنا بكلمة سيئة))

– ومن الأقوال المهمة التي تقرب من الجنة : الاسترجاع ، أي قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال الله– تعالى – : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧

ومن تلك الأقوال : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ غافر: ٤٤

وذلك بعد الجهاد فى إثبات الحق وطلبه ، ومنها : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ يقولها العبد المتوكل على الله ، الآخذ بالأسباب ، وإن كانت ضعيفة ، وليست دعاء على أحد كما يزعم عوام الناس ، وكثير من خواصهم ، قال الله – عز وجل : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٣

دخول الجنة بين الرحمة والعمل

هناك أعمال ، ذكرها النص الشرعي تدخل الجنة ، وإذا نظرت إليها من حيث تعرفك على الجنة وما فيها من نعيم عظيم ، وجدت أن هذه الأعمال دونها بكثير ، وهناك أعمال أخرى عظيمة مثل الشهادة فى سبيل الله تدخل الجنة بلا شك ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩

أي أنّ من الأعمال ما هو جليل عظيم ، ومنها ما هو ضئيل قليل ، وهذا يدل على رحمة الله الواسعة

ولا أقول بأن هذه الأعمال العظيمة تعدل الجنة ، أو تساويها كما يقول العوام فى الثمن الكبير للسلعة العظيمة ، بأنها تستحق ، وأنّ الثمن المدفوع فيها يساويها ، وإنما أقول : لو تفكر الإنسان فى الجنة الغالية ، لما وجد عملاً يعدلها ، ولا حتى الشهادة .

وذلك من وجهين

الأول : أنّ النفس التي بذلها الشهيد فى سبيل الله هى ملك لله – عز وجل – فكأنك أعطيت ولدك مبلغاً من المال ، ثم أخذته منه ، وأعطيته سيارة ، فالمال الذى دفعه إليك أساساً منك ، والسيارة كذلك ، التى ملكتها إياه ، فماذا دفع ؟

لقد قال الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ التوبة: ١١١

وقد أفهم النبي ﷺ هذا المعنى جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – حين مات أبوه شهيداً يوم أحد ، أفهمه معنى الآية ، حيث اشترى منه جملاً له ، وأعطاه ثمنه ، ثم أعطاه بعد ذلك الجمل ، فالثمن من رسول الله ﷺ والجمل كذلك ردّ إليه ، وكذلك النفوس ، والأموال ، هى من الله – تعالى – وإليه ، والجنة من رحمته

والثاني : أنّ العمل مهما عظم وكبر فلن يعدل نعيم الجنة ؛ لأن نعيم الجنة أعظم ، ونحن نفهم هذا المعنى إذا اشترينا سلعة جيدة الصنع ، تقول : إنها أكثر من ثمنها ، ومن قديم قالت العرب :

ومن يخطب الحسناء لا يغلها المهرا !!!

وقالوا : ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

أي أنّ الإنسان إذا خطب امرأة حسناء بارعة الجمال ، وكانت مع ذلك أصيلة النسب ، كريمة المعدن ، فإنه مهما بذل فى سبيل زواجها ، ومهما أعطى فإنه يرى أنّ ما بذله ، وما أعطاه قليل بالنسبة إليها

فهى أعظم من مال الدنيا ، كما يقول خاطبها ، والراغب فى زواجها ، وإنْ كان الناس يرون أنه دفع الكثير فإنه يراها أكثر ، وهكذا

ولذا قال رسول الله ﷺ : ((لن يدخل أحدكم عمله الجنة ؛ فقال الناس : ولا أنت يا رسول الله ! ؛ فقال : ولا أنا حتى يتغمدني الله برحمته ، أو إلّا أن يتغمدني الله برحمته)) .

وهناك وجه ثالث بالنظر إلى ما أنعم الله به على عبده من نعم أسبغها عليه ظاهرة وباطنة ، قيل : إنّ الله – تعالى – قال لملائكته : خذوا عبدي إلى الجنة برحمتي ؛ فقال ذلك العبد : وأين عملى ؟

فأوقفه الله – تعالى – ووضع عمله كله مدة ستين عاماً عاشها فى الدنيا فى كفة ، ووضع نعمة البصر فى كفة ، فرجحت كفة النعمة ؛ فقال الله له : برحمتى تدخل الجنة أم بعملك ؟

فقال : برحمتك يا رب

فلو وضعت جميع الأعمال فى كفة الميزان ، مع نعمة واحدة مما أنعم الله بها على عبده ، لما صلحت أعماله لكي يدخل بها الجنة

ومن ثم كان عامل الصالحات طامعاً فى دخول الجنة برحمة الله ، فلا يغره عمله ، وقد قال الله – تعالى – : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل: ١٩

وإنما العمل وسيلة للوصول إلى رحمة الله – تعالى – ، التي بسببها يدخل عباده جنته

قال تعالى – : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ٤٣

فأثبت ربنا – تعالى – العمل ، وجعله فى الظاهر سبباً لدخول الجنة ، لكن الحق يقتضي أنّ دخول الجنة برحمة الله – عز وجل – لما ذكرته قبل

حتى النجاة من المهالك ،والأزمات ، والصواعق ، والزلازل ، وغيرها تكون برحمة الله – عز وجل

قال تعالى – : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود: ٤٢ - ٤٣

وقال عز وجل – : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ هود: ٥٨

وقال تعالى – : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود: ٦٦

وقال عز من قائل : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ هود: ٩٤ - ٩٥

فتأمل قوله – تعالى – فى الآيات السابقة ((نجينا ... برحمة منا))

فلا نجاة إلا برحمة الله – تعالى – ولا جنة إلا برحمة الله – تعالى – بل ولا سبب يحول دون وقوع الكوارث إلا برحمته – عز وجل

ألا ترى أنّ ذا القرنين وقد بذل من الجهد ما بذل فى إقامة السد المنيع بين المظلومين ، وبين يأجوج ومأجوج المفسدين فى الأرض ، حيث أوتى زبر الحديد ، وجعله ناراً ، وقال انفخوا ، وأفرغ عليه قطراً ، ثم قال : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ الكهف: ٩٨

وأعتقد أننا فى حاجة إلى مراجعة مثل هذا ، لأنّ الناس قد تناسوه ؛ فصاروا يتحدثون عن الأعمال أكثر مما يتحدثون عن رحمة الله – تعالى – ترى الرجل يجلس بين أولاده على لقمة شهية ، ينغصها بقوله : كلوا ، واشكروا أباكم ،

الذى وفر لكم كذا ، واشترى لكم كذا ،وأتاكم بالطيب ، وبالتحف ، وتقول الأم المنصتة : نعم . نعم . نحن من غيرك نضيع ، ولولاك لباع فينا الناس واشتروا، ونحو ذلك حتى إنّ بعض الأولاد يظن أنّ أباه الذى هو سبب وجوده لو مات ، أو كان له شيء مفاجئ ، جره إلى موت ، أو نهابة حياة بشلل ونحوه مع الوجود الذى هو كلا وجود ، فإنهم هالكون لا محالة ، وليس ذلك من التربية على الدين فى شيء

إنما على المسلم الذى يريد أن يربي أولاده على الدين ، فإن أصابه الله بنعمة قال فى نفسه ، وفى أسرته : هذا من فضل الله علينا ،

أرأيت إلى سليمان – عليه السلام – وقد أتاه الذى عنده علم من الكتاب بعرش الملكة ، فلما رآه مستقراً عنده : قال : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ النمل: ٤٠

أي أنّ علينا أنْ ننسب الفضل إلى الله – عز وجل –

وقد رأينا أنّ العبد الصالح ومعه كليم الله موسى – عليه السلام – حين أقام الجدار الذى كان تحته كنز لغلامين يتيمين فى المدينة ، ولا شك أنّ فى ذلك جهداً قد بذل ، وعملاً شاقاً قد أدّى ، ماذا قال ؟

قال : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف: ٨٢

كما قال ذو القرنين : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ الكهف: ٩٨

فما أطيب أنْ يجلس الرجل بين أهله ، وهم يتناولون الطعام ، ويقولون : هذا ما رزقنا الله ؛ فاشكروا له يزدنا ، واسألوه من فضله يبارك لنا ، وهكذا ، فإن قال له منهم قائل : إنك يا أبت السبب ، ولولاك ولولاك ولولاك ..... أجابه بقوله : إننى مجرد سبب ، ساق الله إليكم رزقكم على يديه ، وهكذا ، ينسب الفضل إلى الله ، والرحمة إليه –عز وجل – ينشأ الأولاد على تلك المكرمة ، ويعرفون أنّ أباهم ليس هو الرزاق ، وإنما الرزاق الله – عز وجل – هو الرزاق ذو القوة المتين ، قال الله – عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ - ٥٨٥٦

وفى صدر سورة مريم يقول الله – تعالى – : ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ

رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم: ١ – ١٥

هذه القصة بما فيها من آيات القدرة ، ومن عظيم المنة ، وفى تضامينها من الدروس المستفادة ، بدأت بقوله: ((ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ)) أي كانت من رحمة الله – عز وجل – بعبده زكريا

وفى سورة الأنبياء يقول ربنا – تعالى – : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٩ – ٩٠

فذكر – عز وجل – أنه استجاب دعاء عبده زكريا – عليه السلام – إذْ دعاه أن يرزقه ذرية طيبة ؛ لأن دعاءه قد ارتكز على دعامة ؛ وهى المسارعة فى الخيرات ، أي العمل ففى سورة الأنبياء يقول : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ))

فجمع بين العمل والرحمة ، كما كان دخول الجنة قد اجتمع فيه العمل والرحمة أيضاً ، وهذا يكشف لنا عن بعد الجمع بينهما ؛ إذ العمل وحده لا يكفى ؛

فالولد الذى آتاه الله عبده زكريا الذى لم يجعل له من قبل سميا ، وآتاه الله الحكم صبيا، وحناناً من لدنه ، وزكاة ، وكان تقيا ، لا يصل إليه أبوه بعمل مهما عمل

ألا ترى إلى قول العوام : ((إن الدنيا جميعاً لا تساوي ظفر عيِّل من عيالى))

رأى أن ظفر ولد من أولاده أعظم من الدنيا وما فيها

قد يكون هذا الولد – ولابد له أن يكون دون يحيى – عليه السلام – بملايين المراحل ، أي أنه أعظم من الدنيا وما فيها ، فما بالك بالولد الذى قال الله فيه فى آية آل عمران : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران: ٣٩

وقد ترى فى ذلك توكيداً للجنة التى لا يدخلها أحد بعمله ؛ لأن الأعمال وإن عظمت دونها بكثير !!

ومن هذه الأعمال التى أفادتنا النصوص القطعية الواضحة ، بأنها أدخلت صاحبها الجنة ما يأتي

رفع الشوكة من الطريق

روي أنّ رجلاً كان يمشي بطريق ؛ فوجد شوكة ؛ فقال : هذه تؤذي الناس ؛ فنحاها جانباً ، فنظر الله له ، فشكر له ؛ فغفر له))

هل ترى أنّ رفع شوكة من طريق يكون عملاً مؤهلا عامله لدخول الجنة !

إنها رحمة الله الواسعة التى تصيب عبداً من عباده لأدنى ملابسة من ملابسات الخير الذى يرضاه

و لا تقل : إن الكافر المشرك الذى يعبد مع الله آلهة أخرى ، لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة

ولا تقل : إنّ عاق والديه لو رفع شوكة عن طريق دخل الجنة

كيف ، وقد جاء الشاب إلى النبي ﷺ ليجاهد معه ؛ فسأله ﷺ

- أحيٌّ والداك ؟

قال : نعم ؛ قال : ففيهما فجاهد

فقد جعل الله – عز وجل – بحكم رسوله ﷺ الوالد محل الجهاد

ولا تقل :

– إنّ تارك الصلاة لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة ، ولا تهم الصلاة ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء: ١٠٣

ولا تقل : إنّ المفطر عمداً فى رمضان بغير عذر لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة ، ولا يهم الصيام ، وقد قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣

ولا تقل : إنّ مستطيع الحج الذى لم يحج لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة ، ولا يهم الحج ، وقد قال عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ آل عمران: ٩٧

ولا تقل : إنّ الجار المسيء الذى يتعامل مع جيرانه بفحش وسوء جوار ، لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة ، ولا يهم حسن الجوار ، وقد قال ﷺ : ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))

أي : الذى لا يأمن جاره شره .

ولا تقل : إنّ الذى يسيء معاملة الناس لو رفع شوكة من الطريق دخل الجنة ، وقد روى البخاري فى صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : ((إنّ شر الناس من هجره الناس اتقاء فحشه))

أو يدخل شر الناس الجنة ، إنما يدخل الجنة الأبرار ، لا الأشرار ، والأخيار لا الفجار ، والمسلمون لا المجرمون

ولا تقل : إن آكل مال اليتيم ظلماً لو رفع شوكة من طريق دخل الجنة ، وقد قال الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ١٠

ولا تقل : إنّ الذى عمل عملاً وكل إليه ولا يتقنه لو رفع شوكة من طريق دخل الجنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : ((إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه))

ولا تقل : إنّ الذى يسب الناس ويشتمهم ويسفك دماءهم ويأكل أموالهم ، لو رفع شوكة من طريق دخل الجنة ، وقد قال الله – عز وجل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨

ولا تقل : إنّ الفاسق المصر على ارتكاب الفواحش لو رفع شوكة من طريق دخل الجنة ، وقد قال الله – تعالى – : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ آل عمران: ١٣٥

وهكذا ، أي أنّ الذى يرفع شوكة من الطريق ، ويدخل الجنة هو الذى آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ..... أي أقام أركان

الدين ، وقام بعزم الأمور ، فصبر وشكر ، وحمد الله ، وركع وسجد ، وبر بوالديه ،ووصل أرحامه ، ورفع شوكة من الطريق

ولذا قالت عائشة – رضى الله عنها – فى حديث البخاري : ((دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، أي بسبب هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض)) إنها كانت كافرة ، أي أنها دخلت النار بسبب كفرها ، ومع ذلك الكفر حبست هرة (قطة) فلا هى أطعمتها إذْ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض

وأرى أنّ ذلك فى سياق المخصوص بالذكر

ألا ترى إلى قول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ فصلت: ٦ – ٧

فالمشركون ليسوا فقط لا يؤتون الزكاة ، وإنما هم لا يُصلّون كذلك ، ولا يصومون رمضان ، ولا يحجون البيت ، ولا يطيعون الله ورسوله ، وإنما خصت الزكاة بالذكر لما لها من أهمية فى تحقيق التكافل الاجتماعي

وكذلك أصحاب هذه الأعمال اليسيرة التى جاءت النصوص مفيدة بأنهم دخلوا الجنة بسببها

وكذلك فى حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله تجد فيهم أصحاب أعمال عظيمة ذكرت أول الحديث ، كالإمام العادل ،

وكالشاب الذى نشأ فى عبادة الله ، وكالذى دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، وتجد من هم دون ذلك كرجل تصدق بصدقة فما علمت شماله ما أنفقت يمينه ، وكالرجل الذى قلبه معلق بالمساجد ، وكالمتحابين فى الله ، وكُلٌّ بلا شك عظيم ، كما قالﷺ : ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير))

ولا شك أنّ الرجل الذى قلبه معلق بالمساجد ، أو فى المساجد بالحرف (فى) كما هى رواية البخاري ، لاشك أنه معلق قلبه بالصلاة فى المساجد ، والحرص على الجماعة ، والعناية بأمر المساجد من تعميرها بناء ، وحضوراً ، ونظافة ، وغير ذلك ، فإن قلت إنه من المصلين

فالجواب : أنّ للصلاة مقتضى كذلك ، ذكره ربنا – تعالى – فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت: ٤٥

ومن تلك الأعمال اليسيرة التي هى كذلك من باب المخصوص بالذكر : أن رجلاً كان يمشي فى الصحراء ، وقد عطش عطشاً شديداً ؛ فوجد بئراً ، فنزل وشرب ، فلما خرج وجد كلباً يلهث من شدة العطش ؛ فقال : لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثل الذى بلغ بي ؛ فنزل مرة أخرى ، وملأ خفه ماء ، وصعد ؛ فسقاه ؛ فأدخله الله الجنة ، كما روى البخاري فى صحيحه

لا شك أنك إذا سقيت جميع كلاب الأرض ، ولم تكن مؤمناً بالله عاملاً ما أمرك به منتهياً عما نهاك عنه ، لم ينفعك ذلك ، ألا ترى إلى قول الله – تعالى – :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ إبراهيم: ١٨

فجميع أعمالهم كما جاء فى هذا المثل الكريم يوم القيامة ، كرمادٍ اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، فهل ترى أنّ شيئاً قد بقي منه !

وكذلك فى الصدقة التى هى أفضل العبادات ، إنما كانت أفضل العبادات إذا كانت خالصة لوجه الله – تعالى – ، قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ الإنسان: ٩

وقد قال الله – سبحانه وتعالى – فى آية البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤

وكذلك قيام ليلة القدر

وقيام ليلة القدر إيمانا واحتساباً ، ورد فى الصحيح أن مَنْ قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ،

فهل تظن أن مَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً وهو مُفْطر رمضان عمداً بغير عذر ، غفر له ما تقدم من ذنبه

أو كان صائماً رمضان إيماناً واحتساباً لكنه قائلاً زوراً ، وعاملاً به ، أو تاركاً للصلاة ، وغير ذلك مما سبق ذكره ، وغيره ، يمكن أن يكون ممن غفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم ! أم أنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم !

وكذلك مَنْ حج فلم يرفث ولم يفسق ، ورد فى الصحيح : أنه يرجع من حجه كيوم ولدته أمه

ذلك إنما يكون أوّلاً لمن حج من مال حلال ؛ لأنه يجاب من قبل السماء حين يقول : ((لبيك اللهم لبيك ، بأن لبيك وسعديك ، والخير بين يديك ، حجك مبرور ، وسعيك مشكور ، وذنبك مغفور))

وثانياً : لمن أقام شعائر الحج فصح أداؤه ، فوقف يوم التاسع من ذي الحجة ، وطاف طواف الإفاضة ، وغير ذلك يوم العاشر منه

لأن من حج فلم يرفث ولم يفسق ولكنه ترك ركناً من أركان الحج فقد فسد الحج ؛ ولذلك أرى أنّ من قولهﷺ : من حج ، أي مَنْ أدى فريضة الحج على

وجهها ، ثم اقترن هذا الأداء الصحيح بسلوك صحيح ، فلم يفسق ولم يرفث ، رجع من حجه كيوم ولدته أمه

وثالثاً : ألا تكون عليه مظلمة لأحد ، لحديث أتدرون من المفلس : ومعناه أنّ المفلس هو الذى يأتي وقد عمل كل عمل من شأنه أن يدخله الله به الجنة من رحمته ، لكنه ظلم نفسه بأن أكل أموال الناس ، وضربهم ، وسفك دماءهم وأكل أموالهم ، قال ﷺ : فيؤتي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من سيئاتهم وطرحت عليه ، ثم طرح به فى النار

انظر إلى قوله ﷺ : ((ثم طرح فى النار)) أي أنّ هذا الذى عمل الصالحات لم تنفعه صالحات أعماله يوم الحساب ؛ لأن ما عليه للناس أكثر مما له من صالح عمله ، لذلك كان الحريص على الجنة أنْ يعمل الصالحات ، وأنْ يحسن معاملته مع الناس حتى يجد – باللغة المعاصرة – رصيده كاملاً غير منقوص ، أي ليس عليه من المظالم ما يستولى على حسناته ، كما جاء فى الحديث الشريف ، من أكل مال هذا، وضرب هذا ، وسفك دم هذا ، وهكذا

ومن هذه الأعمال الشفاعة الحسنة ، قال الله – تعالى – : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥

ومعروف أن الشفاعة قول حسن يراد منه تحصيل الخير لمن تشفع له ، أي أنك لن تدفع له شيئاً من جيبك ، لكنك تشفع له ، وسعيك فى تحصيل الخير له كأنك أعطيته

ومن ذلك التجاوز عن المعسر

ورد فى صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : حوسب رجل ممن كان قبلكم ولم يكن له من الخير شيء إلا أنه كان يعامل الناس ، وكان يقول لغلمانه : تجاوزوا عن المعسر ؛ فقال الله لملائكته : نحن أولى بذلك منه ، تجاوزا عنه

ولم يقل الرجل لغلمانه : تجاوزوا عن جميع الناس ، لكنه قال لهم : تجاوزوا عن المعسر ، وإلا فسدت تجارته ، ولن ينصلح حاله ، ولا حال غيره ، فهو بلا شك يكسب من القادرين ، ويتجاوز عن المعسرين ، والله تعالى – يخلف عليه خيراً

وقد ورد فى الصحيح أنه ﷺ قال: ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان يخرجان ، يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً

ومما سبق نجد أن أهم الأعمال المقربة من الجنة ، ما كان متصلاً بالناس ، ألا ترى أنّ هذا الرجل كان يتجاوز عن المعسر من الناس ، فغفر الله له

وكذلك مَنْ يعفو عن الناس ، وكذلك من يرحم ضعفهم ، ويواسى مصابهم ، ويعالج مريضهم ،وينظر مدينهم ، أو يتصدق عليه ، وكذلك من ينفس عن مسلم كربة من كربات الدنيا ينفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة

وقد جاء رجل إلى ابن عباس – رضى الله عنهما – وقال له : ادع الله لى أن يغنيني عن الناس ؛ فضحك ابن عباس ، وقال : ((يا هذا ، إنّ الله – تعالى – خلق الناس يحتاج بعضهم إلى بعض ، كما تحتاج أعضاء الجسد الواحد بعضها إلى بعض ، ولكني أسأل الله لك أنْ يكفيك شرار الناس))

والله – تعالى – فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه – كما قال ﷺ

وقد تكون فى عون أخيك بكلمة لا تلقي لها بالاً ، وتكون سبباً فى دخولك الجنة

كما أن الكلمة من الشر لا تلقي لها بالاً تكون سبباً فى دخولك النار

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا واجعلنا من عبادك السعداء ، الذين تتوفاهم وأنت راض عنهم ، تدخلهم جنتك ، وتسعدهم برؤيتك ، فلا يشقون أبدا ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، إنك أنت البر الرحيم ، وصل وسلم على خير عبادك أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه الغر الميامين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وعنا معهم إنك أنت الرب الكريم

أ.د / مبروك عطية

الأستاذ فى جامعة الأزهر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
• المقدمة	٢
• الفصل الأول	
الجنة	٥
• الفصل الثاني	
أسنان المفتاح	٣٣
• الفصل الثالث	
اللهم إني أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل	٨٣